308

HARLEQUIN

روايات أحلام

الوجه الآخر للقمر

بربارة ماكماهون

www.elromancia.com
مرمورية

الوجه الآخر للقمر

ملك المال- ماثيو غراملين- لديه قاعدتان ذهبيتان لتجنب الوقوع في حب سكرتيراته:

- أن لا يوظف واحدة تحت الخمسين.
- أن لا يصادق فتاة فوق الخامسة والعشرين.

لكن -كارلا جونز- صممت أن تصبح سكرتيرته حتى ولو اضطرت إلى التنكر بصفة -جانيت- الرصينة الكبيرة في السن، ونجحت في خداعها هذا... إلى أن تقابلت مع ماثيو خارج المكتب بشخصيتها الحقيقية...

كانت تعلم أنها تلعب بالنار، وأن اكتشاف ماثيو لشخصيتها الحقيقية ما هو إلا مسألة وقت. ولكن من يستطيع منع فراشة من اللعب بالنار حتى لو أدى ذلك إلى احتراقها؟

برباره مكماهون

ولدت وترعرعت في جنوب الولايات المتحدة الأميركية. عملت لمدة سنة في إحدى شركات الطيران العالمية، طافت خلالها حول العالم. استقرت بعدئذ في كاليفورنيا حيث عملت في شركة كومبيوتر وأسست أسرة.

بدأت كتابة الروايات ما أن التحق أولادها بالمدرسة. واليوم، تشعر أنها محظوظة لأنها تمكنت من تحقيق حلم راودها طويلاً: أن تترك الوظيفة وتتفرغ للكتابة. انتقلت مؤخراً برفقة زوجها للعيش في سييرا نيفادا ـ كاليفورنيا حيث شعرت أن رغبتها بالكتابة تزداد قوة.

على العكس من الإيقاع المحموم للحياة الذي يسود سان فرانسيسكو، فإن الإيقاع البطيء للحياة هناك والمناظر الرائعة المحيطة بمنزلها، وفّرا لها وقتاً كافياً لكتابة الروايات وابتكار الشخصيات التي تشارك والآخرين من خلالها.

باربرا تحب التواصل مع القراء. يمكنكم الاتصال بها على عنوانها البريدي:

PO BOX 977, pionerr, CA95666-0977

أو على موقعها على الإنترنت:

WWW.barbaramcmahon.com

ـ تمهيد ـ

رشفت «كارلا جونز» الماء وتظاهرت بالاستغراق في النظر إلى قائمة الطعام، فيما هي تسترق السمع إلى الحديث الذي يدور حول المائدة المجاورة. وعرفت أن الجالسات إلى المائدة المجاورة سكرتيرات في الشركة التي تعمل فيها صديقتها «باث»، فأخذت تستمع إلى ثرثرتهن بتكاسل.

كانت «كارلا» معتادة على تأخير موعد غدائها، وبهذا تتجنب ازدحام المطعم. كانت الموائد قد أصبحت خالية تقريباً. وبعد قليل ستتفرق النسوة الجالسات إلى المائدة خلفها، فتتوقف الجلبة ويصبح بإمكانها أن تتناول طعامها في راحة وهدوء.

وفجأة وجدت حديثهن آسراً. كانت إحداهن تقول بصوت خافت:

«. . . سمعت أنه سيغلق الشركة كلها لمدة شهر».

ـ هذا غريب. لماذا اشتراها إذا كان ينوي إقفالها؟

ـ سمعت أنه سينقلها إلى «تورنتو» ثم يختار موظفين جدد.

ـ سمعت أن الآنسة «إيفانز» قدمت استقالتها اليوم.

صمتن جميعاً حين سمعن هذا القول. الآنسة إيفانز؟ أليست مساعدة المدير العام الخاصة؟ كانت «كارلا» واثقة من أن «باث» أتت على ذكرها مراراً في السنوات الماضية. فتملكتها الدهشة لهذا الخبر، تماماً كما تملكتها حين أخبروها في الأسبوع الماضي أن رئيسها «دايفيد دانيلز»، نائب مدير شركة «ماكورميك وشركاه»، سيتقاعد قريباً جداً. فهي قد تخسر عملها إذا أراد خلفه اختيار سكرتيرة غيرها.

قالت إحداهن: «ليس السبب أنّ السيد «٢٥-٥٠» سيميز في المعاملة بحسب الأعمار». [فضحكن جميعاً].

- لا تقلقي يا سوزان. فأنت في الرابعة والعشرين. وهذا يعني أنك ما زلت مطلوبة.

ضحكن جميعاً مرة أخرى. ووقفن ليدفعن الحساب ويجمعن حوائجهن. وبعد لحظات مررن بمائدة «كارلا» دون الالتفات نحوها، وهن لا زلن يتحدثن عن أخبار مدير شركتهن الجديد الغامض.

نظرت كارلا إليهن متسائلة عما إذا كان لتلك الشائعة أيّ أساس من الصحة، لا سيّما تلك المتعلقة بالآنسة «إيفانز». إذا كانت راحلة، فهل هذه إشارة من القدر لإبلاغها بفرصة عمل جديدة بحاجة إليها؟

قالت «باث كارنس» بعد دقيقتين وهي تلقي بنفسها على كرسي يواجهها: «مرحباً، آسفة لتأخري».

قالت «كارلا» مداعبة: «هل يسعك الكرسي؟».

كانت صديقتها حاملاً في شهرها السادس وتبدو غاية في الضخامة.

- هذا مضحك جداً. يوماً ما ستتزوجين، وبعدئذٍ ستحملين وتصبحين أنت أيضاً بضخامة الحوت. ما الذي يعجبك في قائمة الطعام؟

- كل شيء فيها حسن، وقد طلبت سمك سلمون.

- هذا رائع. أنا أيضاً سأطلبه.

عندما جاء الطعام، أخذت «كارلا» تتأمل صديقتها: «هل لك أن تخبريني ما إذا كانت الآنسة «إيفانز» ستترك العمل حقاً؟».

طرفت باث بعينيها: «كيف عرفت هذا؟ فهي لم تقدم استقالتها إلا هذا الصباح».

تعمل «باث» في قسم «الدراسات الإنسانية» في شركة «كنسنجر الكترونيك»، وقد تعرّفت إلى كارلا في مدرسة السكرتاريا منذ ثماني سنوات، فانسجمتا معاً ودامت صداقتهما حتى الآن. نادراً ما كانتا تتحدثان عن العمل، فلم تعتد أي منهما كشف أسرار شركتها.

- هذا ليس بالسر الكبير، فقد كانت سكرتيرات من شركتك يتحدثن عنه قبل وصولك. وقد سمعت ذلك كما كان ليسمعه أي شخص في مكاني هذا.

قالت هذا وهي تنظر إلى الموائد المتقاربة، التي أصبح معظمها خالياً الآن. هزت «باث» كتفيها وردّت: «يجب أن يشرح لهن أحد مفهوم السرّية في العمل. وما دام الأمر لم يعد سراً، فلا بأس إن أخبرتك أنها قدّمت استقالتها هذا الصباح. قالت إنها لا تستطيع العمل مع أي شخص آخر غير السيد «مور» الذي لم يعد هو المسؤول».

- لم تشأ أن تعمل من دون السيد «مور»، أم أنها لا تريد أن تعمل مع المسؤول الجديد؟

- لا أدري بالضبط، لكنني واثقة من أنها سمعت الإشاعات حول «ماثيو غرافيلين»... قيل إنه مستبد لا يرحم في العمل. والآنسة «إيفانز» قاربت سن التقاعد، على كل حال. لعلها لا تريد أن تتعامل مع رجل بالغ الحيوية والنشاط بعد السنوات التي أمضتها مع السيد «مور».

- ألا تريد أن تتعامل مع السيد «٢٥-٥٠؟».

فسألتها باث ضاحكة: «هل سمعت هذا أيضاً؟».

- سمعت لكنني لم أفهم.

دنت «باث» منها بقدر ما سمح لها بطنها المنتفخ: «تقول الإشاعات إنه لا يخرج مع امرأة سنها يتعدّى الخامسة والعشرين، ولا يوظف امرأة دون الخمسين».

- لماذا؟

- يبدو أنّ النساء اللواتي يتعدّين الرابعة والعشرين يبحثن عادة عن زوج. وهذا يعني أنّ رئيسنا الجديد لا يرغب في الزواج.

- يبدو أنه بالغ الغرور. هل يظن أن كل امرأة تخرج معه تريد أن تتزوجه؟ وكذلك اللواتي هن دون الخمسين؟

- يخشى أن يتعب في تدريب امرأة ما والاعتماد عليها، فتتزوج

وتنجب أطفالاً ثم تتخلى عنه في أحرج الأوقات.

وأخذت باث تربت على بطنها ضاحكة: «ولعله محق. أنظري إليّ».

ابتسمت «كارلا» ولم تقل شيئاً، فيما أخذت الأفكار تتسارع في رأسها. رئيسها سيرحل ووضعها مزعزع ودقيق، وثمة وظيفة شاغرة كسكرتيرة خاصة لمدير جديد في شركة أخرى. ما يمنحها فرصة ممتازة لتحسين وضعها.

قالت: «أريد وظيفة الآنسة إيفانز».

ـ ألم تسمعي ما قلته لك؟ المدير الجديد لن يوظف شابة جميلة. سيلقي عليك نظرة واحدة ثم يطردك وهو واثق من أنك سرعان ما ستتزوجين.

ـ لكنني لا أنوي ذلك قريباً. لقد عملت بجهد طوال ثماني سنوات، والتسرّع في الزواج لا يتفق مع خططي.

ـ نعم، نعم، نعم. لكن عندما يأتي «الرجل المناسب» ستغيرين رأيك.

ـ حتى وإن حصل ذلك، هذا لا يعني أنني سأترك عملي. أنا أحب العمل.

فقالت باث متعاطفة: «من سيحتل مكان السيد «دانيلز»، رئيسك، سيسرّه أن تكوني سكرتيرته».

ـ إلا إذا أحضر معه سكرتيرته الخاصة.

ـ إذن ستحصلين على عمل آخر. لكن ليس وظيفة الآنسة «إيفانز».

فسألتها «كارلا» بخشونة: «ألست مؤهلة لذلك؟».

ـ أنت كذلك طبعاً. فأنت تملكين المؤهلات والمهارات المطلوبة لتكوني سكرتيرة خاصة ناجحة. لكنك نسيت شروط السيد «٢٥-٥٠». لن يختار موظفة دون الخمسين أبداً.

أحضر لهما النادل الطعام، مقاطعاً بذلك حديثهما. شكرته «كارلا» ثم غيّرت موضوع الحديث.

لكنها لم تتخلَ عن الفكرة التي راودتها، فستجد طريقة لتصل إلى تلك الوظيفة. هذه الفرصة تبدو من الأهمية بحيث لا يمكن تجاهلها. إنها تعمل منذ كانت في العشرين من العمر، عملت أولاً مع مدير طموح، ثم مع نائب رئيس، والخطوة الأخيرة المنطقية هي العمل في مكتب رئيس الشركة.

وقد حانت الفرصة المناسبة، وعليها أن تجد طريقة لتتفادى شرط «ماثيو غرافيلين» المعقد المتعلق بتحديد عمر سكرتيرته الخاصة.

* * *

www.elromancia.com

١ ـ فرصة العمر

ضغطت «كارلا» زر المصعد المؤدي إلى الطابق العشرين. لم تلتفت إلى اليمين أو اليسار، بل أخذت تحدق إلى باب المصعد وهو يقلّها. كانت تعرف واحداً أو اثنين من موظفي «شركة كنسنجر الكترونيك» لكنها لم تنظر إليهما مباشرة خوفاً من أن يعرفوها. لعل رفقتها «باث» لم تلفت انتباه أي شخص، إلاّ أنها لم تشأ أن تجازف.

أخذ قلبها يخفق، وقاومت رغبتها في أن تتفحص شعرها مرة أخرى، فلمسها لشعرها المستعار قد يلفت الانتباه إليه. حاولت أن ترسم على فمها ابتسامة صغيرة، فشعرت بماكياجها يشد بشرتها.

لقد أكّدت لها «بولي» أن طبقة الماكياج تبدو طبيعية. . . رغم أنها تتغضّن عندما تبتسم أو تُقطّب، فتزيد على عمرها عشرين عاماً على الأقل، وهذا ما كانت ترجوه. تعمل «بولي»، صديقتها، في المسرح، وقد سرّها أن تساعد «كارلا» لتبدو أكبر من سنها، وألحّت عليها كي تتصل بها حالما تنتهي المقابلة لتخبرها عن النتيجة.

كانت النظارات الملوّنة التي تضعها مزعجة، لكنها ضرورية. وكذلك بذلة العمل الرصينة وحذاؤها المنخفض الكعبين. أما الشعر المستعار فيحدث حكة في رأسها، لكن حصولها على الوظيفة يستحق هذا كله.

عندما وصلت «كارلا» إلى الطابق العشرين، كانت قد أصبحت وحدها في المصعد، فخرجت منه إلى الردهة الهادئة. لاحظت على الفور السجاد السميك، والأنوار الخافتة، والموسيقى الناعمة. كل هذا يختلف عن المكتب الذي عملت فيه، لكنها استمتعت بالعمل هناك، وستفتقد

السيد «دانيلز». إنما عليها أن تنتبه الآن لمستقبلها.

لم ترَ في هذا الطابق مكاتب للموظفين، ولم تلاحظ أيّ تزاحم محموم في العمل. عندما اتجهت إلى مكتب الرئيس، راحت تتساءل إن كانت وحدها في هذا الطابق. لكن، لا بدّ من وجود شخص آخر في المكان.

الأصوات الخافتة خلف أحد الأبواب أنبأتها بأن الطابق ليس مهجوراً.

دخلت المكتب الذي لا يزال يحمل اسم الآنسة «إيفانز»، فرأت مكتباً خشبياً ضخماً يبدو في غاية الروعة والأناقة. كانت الآنسة «إيفانز» قد تركت العمل نهائياً يوم الجمعة الماضي بحسب «باث».

كان الباب الخلفي مفتوحاً قليلاً، فأخذت «كارلا» نفساً عميقاً ثم تقدمت إليه. حان وقت الجدّ، فهل ستنجح؟ قرعت الباب بحدة وهي تراجع خطتها في سرّها. فقد تحضّرت جيداً، لكن هذه المقابلة ستريها مدى نجاح خطتها.

ـ أدخل.

مسّ الصوت العميق أحاسيسها، مرسلاً رعشة في جسدها.

دفعت الباب ودخلت إلى مكتب فسيح. لاحظت على الفور النوافذ العريضة التي تشرف على منظر رائع الجمال للمرفأ حيث يبدو شمال «ڤانكوڤر» من بعيد. وكان الرجل الذي وقف عند دخولها، بروعة ذلك المشهد.

خفق قلب «كارلا». لا عجب أن «ماثيو غرافيلين» يزدري بالنساء اللواتي يتهافتن عليه. ولعل لرأيه ما يبرره.

كان رائعاً. . . طويل القامة عريض الكتفين، يصلح لإعلان سيارات سباق أو يخوت فارهة. كان شعره الأسود مسرّحاً بشكل رائع. وللحظة، تملكت «كارلا» رغبة في أن تشعثه بأصابعها لتختبر ملمسه، وتراه يلمع في الشمس ويتطاير في الهواء.

حبست أنفاسها. أتراها فقدت عقلها؟ لقد أتت من أجل الوظيفة، لا

لإظهار إعجابها بمظهر الرجل الخارجي.

ومع ذلك، توقف عقلها عن التفكير حين نظرت إلى عينيه الزرقاوين. كانت زرقتهما بعمق المحيط في يوم مشمس، كما بدتا ذكيتين يقظتين. تسمّرت عيناه عليها فابتلعت ريقها بصعوبة، واقشعر جسدها. لم يحدث قط أن نظر إليها السيد «دانييلز»، فظنت أن رجال الأعمال لا يملكون الوقت لينتبهوا للموظفات في مكاتبهم.

لكن يبدو أن «ماثيو غرافيلين» حالة استثنائية، فنظراته لم تُغفل أيّ تفصيل من شعرها الأبيض المسرّح بشكل بسيط، إلى حذائها الخفيف.

ومرة أخرى، قاومت رغبتها في أن تتفحص مجدداً تنكرها هذا.

ـ أنا الآنسة «جونز»، يا سيد «غرافيلين». موعدنا في التاسعة.

ـ أدخلي، آنسة «جونز». لقد جئت قبل موعدك بلحظات، في الواقع.

وسكت لحظة ثم أضاف باسماً: «وهذا يعجبني».

أومأت «كارلا» وهي تبتلع ريقها بصعوبة. أذهلتها ابتسامته، فقد لمعت أسنانه البيضاء في وجهه الذي لوحته الشمس، كما بدت ملامحه أرق، فجعلته أكثر إلفة، وجاذبية!

جلست بسرعة، راجية أن تكون قد جلست برشاقة ولم تبدُ وكأنها ارتمت على المقعد لشعورها المفاجىء بضعف في ركبتيها.

ناولته ملفها الخاص وعادت لتجلس، محاولة أن تبدو كفوءة وواثقة من نفسها، ومتجاهلة تسارع خفقات قلبها. إنها متوترة الأعصاب، وهذا كل ما في الأمر. إنها تقوم بمجازفة خطيرة، وهي تعلم ذلك. لكن، باستثناء مظهرها، كل أوراقها كانت صحيحة والمعلومات فيها دقيقة. لقد أمضت الأسبوع الماضي وهي تعمل على هذا الملف، مظهرة خبرتها وكفاءاتها. كان السيد «دانييلز» قد أعطاها شهادة نهاية خدمة رائعة، لكنها لم تخبره طبعاً عن السيد «٢٥-٥٠» ووجهة نظره بالنسبة إلى التوظيف. كما أن كتابه لم يذكر عمرها.

أخذ «ماثيو غرافيلين» يدقق في الأوراق، ثم وضع الملف على مكتبه واستند إلى الخلف في كرسيه ليتأمل «كارلا». وسألها: «هل عملت لثماني سنوات فقط؟».

ـ عندما فكرت في العمل قررت الاتجاه إلى أعمال السكرتارية لأكون قادرة على. . .

وتردّدت لحظة، آملة أن تقوم بدورها بشكل صحيح: «على منافسة الشابات».

ثم رفعت رأسها لتنظر إليه متحدية.

ـ أرى أن خبرتك كلها مع شركة «ماكورميك وشركاه»!

ـ هذا أفضل، أليس كذلك؟ لقد ترقيّت في عملي وهذا يدل على رضاهم عني. وكنت مطلعة على عمليات الاستيراد والتصدير في شركة «باسيفيك ريم» التجارية. وتقول الإشاعات إنك تريد أن توّسع مجال عمل شركة «كينسنجر الكترونيك» في هذا الاتجاه، وقد وجدني السيد «دانييلز» مفيدة جداً في هذا الميدان.

فقال وهو يستند إلى الخلف: «هذا صحيح، أنا مصمم على إجراء تغييرات في الشركة».

كان استرخاؤه مخادعاً، «فكارلا» تعلم أنه ما زال متيقظاً ويسجّل كل حرف من حديثهما.

ـ إن لم تفعل، لبدا هذا مستغرباً. أتوقع أن يكون لديك الكثير من الأفكار الجديدة.

ـ كان «مور» يدير الشركة وكأنها شركة أسرته، وأنا مصمم على تغيير هذا. أخبريني عن خبرتك في شركة «ماكورميك».

استمرت المقابلة لأكثر من ثلاثة أرباع الساعة، حيث أجابت «كارلا» عن الأسئلة بصدق وبعد تفكير مليّ. ولو سألها عن عمرها لأجابته من دون تردد، لكنه لم يفعل. وإذا ما ظنّها أكبر سناً بسبب نظاراتها، وملابسها المتحفظة، والشعر المستعار، والماكياج المسرحي الذي يجعلها تبدو

أكبر سناً، فهذه مشكلته هو.

كانت مقتنعة بأنها إذا حصلت على الوظيفة، ورأى مدى كفاءتها، سيتأكد من أنّ ليس لديها أيّ أهداف عاطفية. وسيعترف عندئذٍ بأن مفهومه عن عمر الموظفة خاطىء. ولكن، حتى ذلك الحين ستستمر في تمثيل هذا الدور. هذا إذا حصلت على الوظيفة!

وأخيراً سألها: «هل لديك أي أسئلة؟».

ـ لقد شرحت الأمور كلها على أتم وجه. وسأقدر كثيراً فرصة العمل معك.

وقف ومدّ يده قبل أن يقول: «قسم «الدراسات الإنسانية» سيتصل بك قبل نهاية الأسبوع».

هزّت كارلا يده برفق. كانت يده دافئة في يدها، وأصابعه طويلة قوية. للحظة، أحسّت كأن حواسها شُحنت بأكثر من طاقتها. وتساءلت عما ستشعر به إن عبثت هذه الأصابع بشعرها.

احمر وجهها للفكرة لكنها أملت ألاّ يظهر ذلك جلياً. وقالت فجأة: «الوداع».

واستدارت، مرغمة نفسها على السير بهدوء فيما هي ترغب في أن تندفع مبتعدة عنه. لم يساورها قط أيّ شعور مماثل لما شعرت به نحو هذا الرجل. لكن يجب ألاّ ينعكس هذا الشعور على تصرفاتها، فهي تريد هذه الوظيفة التي تبدو رائعة... مثيرة، ومليئة بالتحدي. كما أنها فرصة لتكون مستقلة إلى حدّ بعيد.

أغلقت الباب خلفها ثم استندت إليه وهي تتنفس الصعداء. أتراها ستحصل على العمل؟ لقد بذلت جهدها، وأصبح القرار الآن في يد «ماثيو غرافيلين». توجّهت إلى المصاعد، وهي تتمنى أن تصبح عضواً في الفريق الذي تحدث عنه والذي سيقود هذه الشركة إلى مجالات جديدة ويوسّع نشاطاتها. إنها تجربة مثيرة في انتظارها.

***

أمضت «كارلا» بقية الأسبوع على أحر من الجمر. ولم يكن لديها الكثير من العمل في المكتب مع السيد «دانييلز» الذي يصفي أعماله، فراحت تساعد في الأقسام الأخرى كلما استطاعت ذلك. وكانت تهرع إلى بيتها عصر كل يوم لتستمع إلى الرسائل على المجيب الآلي فلا تجد شيئاً.

يوم الجمعة كانت «كارلا» قد فقدت الأمل. علمت من «باث»، التي رأت أنها تضيع وقتها بإجراء تلك المقابلة، أن «ماثيو غرافيلين» تلقى دفقاً من طلبات العمل خلال الأسبوع. كما علمت أن العديد من اللواتي تقدّمن إلى الوظيفة يملكن خبرة واسعة وطويلة، ما يجعل خبرة الثماني سنوات تافهة. وهكذا راحت آمالها تذوي تدريجياً. وفي الساعة الثالثة، رن جرس الهاتف. وقالت «باث» بهدوء: «شُغلت الوظيفة».

غاص قلب «كارلا»، فقد كانت متلهفة للحصول على هذه الوظيفة التي ستتيح لها فرصة اكتساب معرفة جديدة، وستمكنها من أن تكون شريكة في وضع استراتيجية جديدة للقرن القادم.

ـ شكراً لأنك اتصلت لتعلميني بذلك.

فصرخت «باث»: «لقد شغلتها أنت! لا أصدق ذلك، لكنه سيوظفك! وعليك أن تبدئي العمل يوم الإثنين. كيف فعلت ذلك؟ كنت أظن أن قاعدة «٢٥-٥٠» حازمة. انتظري حتى تسمع الموظفات في الشركة هذا!»

شعرت «كارلا» برأسها يدور لهذا الخبر. لقد حصلت على الوظيفة... لقد نجحت!

فهمت كلام «باث» فهتفت: «باث» انتظري! لا تقولي شيئاً، أرجوك. في الواقع، أظنه يعتقد أنني تجاوزت الثامنة والعشرين من العمر».

ـ تجاوزت الثامنة والعشرين؟ بكم سنة؟

ـ لا أدري، لكن أثناء المقابلة... كان شعري أبيض وحول فمي وعينيّ بعض التجاعيد.

سكتت باث فترة طويلة ثم سألتها: «هل أقنعته بأنك أكبر سناً مما أنت

عليه؟».

ردّت «كارلا» وقد همدت حماستها لعلمها أنها ستبقى على تنكرها هذا لفترة: «لم يسألني عن عمري، كما أنني لم أتطوع بإخباره».

ربما ستحافظ على تنكّرها طوال مدة عملها معه. لكن هل ستتمكن من ذلك؟ وتراقصت أمام عينيها صورتها وهي ترتدي ملابس امرأة تكبرها بعشرين عاماً. عليها أن تقنعه بسرعة، أن سن الثامنة والعشرين مثالي لسكرتيرة خاصة!

قالت «باث» ببطء وكأنها تجد صعوبة في استيعاب الوضع: «سيكتشف عمرك عندما يطّلع على أوراقك الثبوتية ويرى تاريخ ولادتك مسجلاً فيها».

هتفت كارلا بذعر وهي تحاول أن تفكر بحلّ: «ولماذا يحتاج إلى رؤية أيّ أوراق؟ يمكنني أن أقول له إن قسم الدراسات الإنسانية تكفّل بكل شيء ثم أثير إعجابه بكفاءتي».

ضحكت «باث»: «لحسن الحظ، إنني راحلة في الأسبوع القادم وبهذا لن أعلم إذا افتضح أمرك. ولكن لِمَ لا؟ الانحياز إلى سن معين هو أمر غير عادل، وأنا أساندك. على أي حال، تهانيّ وأرجو أن تعجبك الوظيفة. أعرف أنك على قدر المسؤولية، هذا إذا أنهيت يومك الأول. بصراحة يا«كارلا» هذا أكثر الأمور التي سمعت بها جنوناً».

ـ سأنجح وأنا واثقة من ذلك. وأظنني سأعشق هذه الوظيفة.

قالت كارلا هذا ثم وضعت سماعة الهاتف بابتهاج. لقد نجحت! وستبدأ العمل صباح الإثنين بصفتها المساعدة الشخصية لرئيس شركة «كنسنجر الكترونيك»، والآن لم يبق إلا أن ترى ما إذا كانت ستنجح.

* * *

كان «ماثيو غرافيلين» يعشق التحدّي. وإنقاذ شركة «كنسنجر الكترونيك» من الإفلاس وتحويلها إلى شركة فعّالة ناشطة في صناعة الإلكترونيات هو نوع التحدي الذي يعشقه. بعض الرجال موهوبون في

صيد السمك أو التمثيل أو الاختراع. أما هو فموهبته تكمن في إنقاذ الشركات التي تعاني من سوء الإدارة. وقد حرص على أن يمتلك أكبر قدر ممكن من الأسهم قبل أن يقوم بذلك.

صباح يوم الإثنين، كان يشعر بتلك الحماسة المعتادة، فقد حان الوقت لتنفيذ أفكاره وخططه. سيرى إن كان بإمكانه أن يسحب الشركة من هوة الإفلاس ويجعلها مسيطرة في مجالها. كان قد درس التقارير التي قدمها مديرو الأقسام في الأسبوع الماضي ، فضلاً عن التقارير التي قدّمها له مساعدوه قبل عملية الشراء. فإدراك أوجه المشكلة الأساسية أمر ضروري.

نظر الى ساعته. ما زال الوقت مبكراً، واليوم هو أول يوم عمل للآنسة «جونز». دار بكرسيه ليتمكن من النظر عبر النافذة. كان منظر مرفأ فانكوفر رائعاً، لكن «ماثيو» تجاهله وهو يتذكر المقابلة.

كان قد تحدث إلى العديد من النساء في الأسبوع الماضي، وكل منهن أكثر خبرة ومهارة من الأخرى، لكن شيئاً ما في أول امرأة قابلها أعجبه، لعله حماستها أو طاقتها. ورغم أنها لم تكن تتمتع بالخبرة التي تتمتع بها بعض النساء الأخريات، إلا أنهاأمضت في شركة واحدة كل سنوات عملها، مايدل على ثباتها وعدم رغبتها في التنقل. ولو لم يتقاعد رئيسها، لما بحثت عن عمل آخر. وتساءل عما كانت تفعله قبل أن تتعلم السكرتارية. إنه يراهن على أنها كانت ربة أسرة. هل حدث أيّ طلاق، وعندما كبر الأولاد، قررت أن تعمل؟

هذا لايهم، فهي ممتازة. . . ناضجة وعقلانية. لم يبد عليها أيّ دليل طيش أو تقلب، كما أنها أكبر سناً من أن تتعلق برئيسها أو تعبث معه. سيتمكنّ من الاعتماد عليها كما كان يفعل«دانيلز». فتزكيته لها واضحة ومبنية على حقائق، وليست مجرد شهادة براقة كبعض الشهادات الأخرى. كما أنه يثق بغريزته.

لفتت انتباهه ضجة في المكتب الخارجي، فنهض وسار إلى الباب.

كانت الآنسة «جونز» تضع حقيبة يدها، وعندما سمعت صوته رفعت بصرها إليه.

- صباح الخير.

- صباح الخير ياسيدي.

وابتسمت: «شكراً لأنك منحتني فرصة العمل معك. سأبذل جهدي».

- هذا كل ما أريده. عندما تستقرين في مكتبك، أحضري دفتراً لتدوّن فيه كيف أريد أن تسير الأمور.

- هل أحضر لك فنجان قهوة؟

- شربتها باكراً.

وتردّد. إحضار القهوة هو أمر تعترض عليه السكرتيرات الشابات، وهو لا يريد أن يخدمه أحد. لكن عرضها أعجبه، فسألها: «أتريدين أن تشربي فنجان قهوة أولاً؟»

فقالت وهي تتناول قلم رصاص ودفتر ملاحظات جديداً: «لا. أنا جاهزة للبدء بالعمل».

أمسك «ماثيو» الباب، وتنحىّ جانباً ليسمح لها بتقدمه الى المكتب. إنهم يدفعون الكثير ليحصلوا على موظفين كفوئين، وها إن واحدة من هذه الطينة تفضّل العمل على القهوة، وهي جاهزة للعمل حتى قبل الثامنة صباحاً! و هذا يثبت بشكل حاسم صحة اختياره.

عندما رأت «كارلا» مكتبه، ترددت ثم تمتمت: «أرى أنك كنت تعمل».

دار «ماثيو» حول مكتبه، من دون أن يلتفت إلى رزمة الملفات والأوراق التي كان يقرؤها بإمعان منذ وصوله. أرادها أن تكون على اطلاع واسع ودراية بالشركة في أسرع وقت ممكن، فتراجع بعض التقارير لتتعرف إلى العمل عن كثب: «بعض هذه التقارير وضع في عطلة نهاية الأسبوع، وأريد أن أعرف مضمونها في أسرع وقت ممكن».

قالت وهي تجلس على كرسي أمامه وتفتح دفترها: «ظننتك على علم بما يجري داخل الشركة وخارجها قبل شرائها».

- عرفت عنها ما يكفي لأدرك أنها متعثرة وأن بإمكاني إنقاذها. ولكي أفعل هذا، عليّ أن أعرف أدق التفاصيل عنها.

جلس «ماثيو» في كرسيه ونظر إليها، كانت تنظر إلى الدفتر وقد حملت قلمها. ستصبح مساعدة عظيمة!

- سنبدأ بوضع قائمة بالأعمال الروتينية أولاً. ثم سيأتي موظف من قسم الدراسات الإنسانية ليأخذك في جولة في أنحاء الشركة، ويقدمك إلى الموظفين. عندما تنتهي جولتك، يمكنك أن تقرئي بعض التقارير، لكي تعرفي ماهية عمل بعض الأقسام.

- عظيم. أعلمني بما تتوقعه مني، وما عليّ أن أفعله لكي أسهّل عليك العمل.

كانت ستطلب من «بات» أن ترافقها بين الأقسام لتتعرف إلى القسم الداخلي من الشركة. وتمنت لو أن صديقتها باقية في الشركة، لكنها فضّلت أن تقدّم استقالتها لكي تبقى في البيت مع مولودها.

أومأ «ماثيو» قائلاً: «أولاً، يجب أن يكون لديك آلة طابعة لطباعة مسوّدات التقارير والمراسلات والملفات وغيرها من الأعمال، فأنا أريد استغلال مهارتك في أمور أخرى. اطلبي أيضاً جهاز كمبيوتر متطوراً، مزوّداً بكل هذه البرامج».

وألقى إليها بورقة دوّن عليها البرامج المطلوبة. وراح يخبرها كيف يريد أن يسير عمله اليومي، معتبراً أن المعوّقات جزء لا يتجزأ من العمل. أرادها أن تجيب بنفسها على قدر ما تستطيع من المكالمات الهاتفية، محدداً نواحي العمل التي يريدها أن تتولاها بنفسها، وتلك التي يريد منها أن تبقيها له. وقد ساعدها ذلك على معرفة طريقته في إدارة الأمور. وفهمت «كارلا» أن مدير أعماله «تيد كلايد» يتولى العمل في تورنتو الآن، ليبدأ هو مع شركة «كنسنجر الكترونيك» فينظم العمل بالطريقة التي يراها

أنسب.

بدأ احترامه للآنسة «جونز» يزداد، فهي تدوّن الملاحظات بهدوء، وتطرح أسئلة ذكية لاستيضاح الأمور. ويبدو أن المهام التي يكلّفها بها لا تثقل عليها، كما لم تحتجّ على كمية العمل التي أوكلها إليها. ستكون ممتازة فعلاً.

- هذا كل شيء. سأترك لك مسألة تحديد مواعيد مدراء الأقسام الذين سيأتون لرؤيتي.

- ما من مشكلة.

كان هذا جوابها الدائم. وكاد «ماثيو» يبتسم، وأمل في ألاّ يكون العمل كثيراً عليها. وشعر بحاجته لأن يكون قريباً منها، إذ تحيط بها هالة من الهدوء والسكينة. ترى هل سيدوم هذا؟ أم أنها لا تلبث أن تصبح قلقة مثل «سارا مارلين»، سكرتيرته في «تورنتو»؟ ستنبئه الأيام بذلك.

- بقي أمر واحد فقط.

رفعت بصرها إليه. وللحظة لفت انتباهه عندما تألقت عيناها حماسة خلف نظارتها. لم تكن تضع أيّ ماكياج، ما عدا ما يبدو أنه «بودرة». لم تكن عادية الملامح، أو عديمة الجاذبية... فوجهها جميل، ولولا بياض شعرها وتغضّن بشرتها لبدت امرأة جميلة جذابة. أما قوامها...

قطّب جبينه. فليس من عادته الاهتمام بالنواحي الشخصية لسكرتيراته. وقال: «أسبوع العمل هذا سيكون غير عادي. وغالباً ما سأطلب منك العمل لساعات إضافية إلى أن تسير الأمور بحسب رغبتي...».

- ما من مشكلة.

عندئذٍ ابتسم وسألها: «وما الذي يعتبر مشكلة برأيك؟».

فضاقت عيناها قليلاً وردّت: «ليس لديّ جواب حالياً عن هذا السؤال يا سيدي. لكن عندما أجده، سأخبرك».

- لا أحب الرسميات كثيراً. يمكنك أن تدعيني باسمي الأول،

«ماثيو». وسأدعوك أنا....

وتملّكته الحيرة. كان واثقاً من أنه رأى اسمها الأول في أوراقها. لكن ما كان اسمها؟

فقالت بتحفظ: «الآنسة «جونز»».

ثم تنحنحت وأكملت بشبه ابتسامة: أو «جانيت».

- آنسة«جونز»؟ لست متزوجة؟

لماذا لم يسألها عن ذلك أثناء المقابلة؟ أليس من المنطقي أن تكون النساء اللاتي في سنها قد تزوّجن ولو لمرة واحدة على الأقل؟ ربما كانت متزوجة، واستعادت شهرتها بعد الطلاق. لكنها هزّت رأسها نفياً.

- ألم تتزوجي قط؟

فسألته بحدّة: «وما تأثير ذلك على عملي هنا؟».

- ليس له أيّ تأثير. ربما تخطّيت حدودي بهذا السؤال، اعتذر، يا آنسة «جونز»، «جانيت».

تخطّى حدوده، ربما. لكنه يشعر بالفضول. أتراه لمس وتراً حساساً؟ ولكن ذلك لا يهم، فهي الآن تعمل عنده وهذا ما يهمه، ولا شأن له بحياتها الخاصة.

قالت وهي تشير إلى الملاحظات التي دوّنتها: «سأحرص على تنفيذ كل هذا».

أخذ ينظر إليها وهي تخرج من مكتبه. أراد، للحظة، أن يطلب منها البقاء... لكي يتحدثا بعد... ليعرف المزيد عن هذه المرأة. ولكن الأيام القادمة ستتيح له ذلك، فقد أصبح يعرف الآن ما يحتاجه ليبدأ العمل. لكن فضوله لم يتوقف.

* * *

www.elromancia.com

٢ ـ وقعت في الفخ

عندما أنهت عملها يوم الجمعة، شعرت «كارلا» وكأنها شاركت في سباق ركض. كان «ماثيو غرافيلين»، رجلاً بالغ الطاقة والحيوية. ومهما أبكرت في القدوم إلى العمل، كان يسبقها إلى المكتب، ليباشر عمل النهار بكل نشاط. أدركت أن وصفه بالمستبدالذي لا يرحم في العمل ليس بعيداً عنه. لكن، كيف يمكنها أن تشتكي وهو يجهد نفسه في العمل أكثر منها؟... بل أكثر من أيّ شخص آخر في الشركة. تأخرت في عملها ثلاث مرات أثناء الأسبوع، ولم تعد إلى البيت يوم الأربعاء إلاّ بعد منتصف الليل. ومع ذلك، فقد كان «ماثيو» يعمل مدة أطول كل ليلة. أدركت ذلك من كومة الملفات التي كانت تنتظرها كل صباح.

كانت متعبة إلى حد لا يصدّق. كيف يظن أن بإمكان امرأة كبيرة في السن أن تجاري هذه السرعة؟ لكنها لن تسأله طبعاً أو تلمّح إلى أن الأمور لا تسير كما يجب. فهي مصممة على أن تبذل جهدها في الوظيفة، لكي تثبت له أن مفهومه عن أعمار الموظفين خاطىء. وبدا لها أنّ هذا هو الخطأ الوحيد في شخصية هذا الرجل. فبالإضافة إلى هذه الطاقة الغريبة، لديه أفكار مثيرة لتحسين العمل، وطرق مبتكرة في تجديد الأساليب الفنية والإدارية القديمة، وفي التعامل مع الموظفين. أثار الحماس في الشركة كلها. وكانت العدوى سريعة الانتشار، من المكاتب الإدارية إلى مباني التجهيزات في ضواحي المدينة.

أدركت موجة الأفكار الجديدة والتغييرات الأقسام واحداً تلو الآخر. وأخذ المدراء يدخلون مكتبه وقد تملكهم القلق والذعر مما سيكتشفه من

أخطاء في أقسامهم، ليخرجوا منه منتعشين ومحمّلين بالأفكار الجديدة في معظم الأحيان. إثنان من المدراء قدما استقالتهما، وتلقّى آخر إنذاراً بأن يحسّن وضع قسمه، وإلا يُطرد من العمل.

كانت «كارلا» تراقب الأمور، والحيرة تتملكها وهي تشعر بارتفاع مستوى الطاقة في المؤسسة. كانت تلازم مكتبها على الدوام، إلاّ حين تكون برفقة «ماثيو». أحياناً، كانا يبدآن بالحديث فيتناولان الجوانب الفلسفية لإدارة الأعمال. وكان يصغي بانتباه إلى آرائها، فيسرّها ذلك جداً لأنه الأكثر نجاحاً في دنيا الأعمال.

وفي الخامسة من يوم الجمعة، رتبت الملفات في مكتبها وهي تتساءل عما إذا كانت تجرؤ على الانصراف. عليها أن تطمئن إلى حسن سير الأمور قبل أن تبدأ عطلتها الأسبوعية. كانت على موعد مع صديقها «كيفين فاولر» لحضور مسرحية استعراضية، وإذا اضطرت إلى إلغاء الموعد، فعليها أن تعلمه بسرعة.

ذكر «ماثيو» هذا الصباح أنه سيغادر المدينة في العطلة الأسبوعية، لذا أدركت أنها لن تضطر للعمل يومي السبت والأحد. وهكذا، قررت أن تتأخر في النوم صباح الغد. لكن هل سيطرأ أيّ عمل في اللحظة الأخيرة؟ دخلت إلى مكتبه: «إذا لم تعد بحاجة إليّ يا سيد «غرافيلين»، فسأنصرف».

نظر إليها ومن ثم إلى ساعته: «لا. لا شيء لا يمكن إرجاؤه حتى يوم الإثنين. أنا مسرور لأنك ذكّرتني بالوقت فلديّ موعد هذا المساء».

أومأت برأسها وهي تتساءل عما إذا كان موعداً غرامياً. لاحظت أثناء الأسبوع أنه تلقّى اتصالات عدّة من نساء لا صلة لهن بالعمل. لا بد أنه يتصرف بسرعة، إذ لم يمض على وجوده في ڤانكوڤر أكثر من أسبوعين. لكن هذا ليس من شأنها.

ألقى بقلمه ثم استند إلى الخلف، وهو يسألها: «كيف كان هذا الأسبوع؟».

- لقد أحببته. إنه يختلف عما كنت أتوقع.

- وماذا كنت تتوقعين؟

- لم أكن أتوقع الكثير من الاستقلالية، كما أقدّر لك منحي فرصة إصدار قرارات فورية.

- ولمَ لا. أنت تعالجين الأمور بشكل ممتاز.

ابتسمت شاكرة لمديحه هذا، وتمتمت: «ما من مشكلة».

فضحك وقال: «سأنتظر اليوم الذي تعلنين فيه أنك تواجهين مشكلة. أتمنى لك عطلة أسبوعية موفّقة، إلى اللقاء صباح الإثنين».

- ولك أيضاً يا سيد «غرافيلين».

وبالرغم من أنه طلب منها مراراً أن تناديه «ماثيو»، إلاّ أنها فضّلت أن تبقي حاجزاً من الرسميات بينهما. أحياناً، كان يناديها «جانيت»، فتبذل جهداً لتجيب، إذ لم تعتد أن يناديها أحد باسمها الأوسط. كانت اجتماعاتهما الصباحية تقوّي الرابط الذي نشأ بينهما. وأدركت أنها، خلال أشهر قليلة، ستعتاد طريقته في معالجة الأمور بحيث تتمكن من التنبؤ بردة فعله. وأملت أن يكون شعوره مماثلاً لشعورها.

أسرعت إلى البيت وتوجهت فوراً إلى الحمام، حيث غسلت ماكياجها المسرحي، مما شكّل مصدر راحة كبرى لها. فقد أصبح تخلل شعرها الأسود القصير بأصابعها متعة لها.

شعرت بالانتعاش بعد الحمام. وعندما جاء «كيفين» في الساعة السادسة والنصف كانت جاهزة. كانت الموسيقى تعزف في المسرح، فجلست «كارلا» وقد شعرت بالارتياح إذ ستجلس طوال الساعة التالية لتستمتع، حديثها مع «كيفين» على العشاء أجهدها رغم صداقتهما الطويلة. كانت تحب تمضية الوقت معه، لكنها متعبة جداً هذه الليلة. أرادت أن تتوسل إليه ليرجىء السهرة، لكنها تعلم أنه تكبّد الكثير من العناء للحصول على التذكرتين، كما أنها متشوّقة لحضور المسرحية. هذا إذا استطاعت أن تبقي عينيها مفتوحتين! فقد تثاءبت مرتين وكادت تغفو

مرة.

ألقت نظرة على «كيفين»، وتملكها الارتياح لأنه لم يلاحظ ذلك. فما ذنبه إذا كانت متعبة إلى هذا الحد؟ نظرت خلفها، وتوقف قلبها عن الخفقان، فقد كان «ماثيو غرافيلين» يحدّق إليها. حوّلت كارلا نظراتها بسرعة وقلبها يخفق. وفجأة تلاشى تعبها. رباه، ما الذي يفعله هنا؟ ماذا تفعل؟ أتراه عرفها؟ فقدت قدرتها على التركيز على المسرحية، وتسارعت الأفكار إلى ذهنها. عادت تسترق النظر إليه. بدا مستغرقاً في متابعة حركات الممثلين المضحكة على المسرح. كان الكرسي بقربه خالياً، وفجأة عاد ينظر إليها، وكأنما أحدهم لمس كتفه.

التفتت بسرعة إلى خشبة المسرح. لماذا كان ينظر إليها؟

تحركت قليلاً، وقد تبدّد انسجامها بالمسرحية الاستعراضية. نظرت بشكل عفوي من فوق كتفها، فتقابلت نظراتهما، فأشاحت بنظرها بعيداً على الفور، آملة ألاّ تكون قد فضحت نفسها. وتمنّت لو أن الأرض تنشق تحتها وتبتلعها! كان يحدّق إليها! لا بد أنه عرفها. ولكن كيف؟ شعرها، زينة وجهها، ملابسها... كل شيء مختلف، كما أنّ قاعة المسرح مظلمة. أتراه يشك في أمرها فقط؟ أم أنه متأكد؟

أيمكنها أن تتحجج بشعورها بالصداع لتجعل «كيفين» يأخذها إلى البيت باكراً؟ فتهرب قبل أن يجد «ماثيو» فرصة يتأكد فيها من شكوكه؟ لا، لن يكون هذا منصفاً بحق «كيفين»، إذ يحقّ له أن يستمتع بالمسرحية. ما العمل الآن؟

بعد أسبوع واحد، أدركت أنها تريد أن تعمل في شركة «كنسنجر» مدة طويلة. إنها وظيفة ممتازة! فهل ستُطرد من عملها الجديد هنا في المسرح، في حين لم يمضِ عليها فيه سوى خمسة أيام فقط؟

مرّت دقائقُ قبل أن تعود إلى اختلاس النظر حولها. كان «ماثيو» مستغرقاً في متابعة المسرحية... لا، لقد نظر في اتجاهها فتقابلت نظراتهما. يا له من رجل! الا يمكنه أن يركّز اهتمامه على المسرحية

الاستعراضية؟ ونظرت أمامها، وهي تتساءل متى يمكنها الهرب.

أثناء الفاصل، عرض «كيفين» عليها أن يقدم لها شراباً. سألها وهما يسيران في الممر: «عصير برتقال؟».

قالت وهي تنظر في أنحاء الردهة المزدحمة: «مياه معدنية فقط».

كان هناك الكثير من الناس، ولم تجد «ماثيو». فهل من المحتمل أن يلتقيا صدفة؟ أشارت إلى زاوية هادئة وقالت لكيفين باسمة: «سأنتظر هنا، إذا لم يكن لديك مانع. لا أريد أن أختلط بالجموع الليلة».

ـ فكرة حسنة. سأعود بأسرع ما يمكن.

شقت طريقها بين الجموع. كان عليها أن تبقى في مقعدها وتنام قليلاً، أو تدّعي الإصابة بصداع لتهرب من المسرح فلا تصادف رئيسها. تثاءبت مرة أخرى. غطت فمها بيدها، آملة أن تبقى مستيقظة حتى تستطيع العودة إلى البيت. ليس من الإنصاف بحق «كيفين» أن تكون متعبة إلى هذا الحد فتعجز عن الاستمتاع بالسهرة.

سألها صوت مألوف: «أيمكنني أن أحضر لك فنجان قهوة؟».

التفتت مجفلة إلى يسارها وإذا بها وجهاً لوجه مع «ماثيو غرافيلين»! لقد باءت محاولات تجنّبه بالفشل.

منعها الذهول من أن تجيب. ماذا يفعل هنا؟ هل تعمّد أن يبحث عنها؟

ـ أنا.. ما.

وتلعثمت. أتراه لحق بها؟ لا، إلا إذا كان قد اشتبه بها فجاء ليكشف خداعها.

ـ آسف، لم أستطع أن أمنع نفسي من ملاحظة تعبك.

بدا رائعاً في بذلته السوداء وقميصه الناصع البياض. كان عليهاأن ترغم نظراتها على التحول عنه. فقالت: «أنا متعبة قليلاً».

أخذ ينظر إلى الجموع متفحصاً، ثم قطّب جبينه: «ألم تكوني برفقة أحدهم؟».

www.elromancia.com

أومأت برأسها محاولة أن تبدو طبيعية، ثم أخذت نفساً عميقاً لعلّ أعصابها تهدأ. لم يعرفها، أو على الأقل لم يعنّفها على الفور أويطلب إيضاحاً فهل الأمر مجرد صدفة!

عاد ينظر إليها ثم ابتسم، ومدّ يده يعرّف بنفسه: أنا «ماثيو غرافيلين». جئت إلى المدينة مؤخراً. هل أعجبتك المسرحية؟ أم أنك من التعب بحيث لا يمكنك تقديرها؟».

صافحته ثم تركت يده بسرعة، ظهر في عينيه الوميض نفسه الذي لاحظته حين صافحته لأول مرة أثناء مقابلة العمل، كما لاحت على شفتيه تلك الابتسامة نفسها التي جعلت ركبتيها تضعفان.

ـ أنا... آه... «كارلا»، أما المسرحية فرائعة.

تلعثمت، فخطر لها أنه سيظن أنها لا تعرف حتى اسمها. لكن هذا أفضل من قول الحقيقة، فقد توترت أعصابها إلى أقصى حد. ليس خوفاً من الفضيحة وحسب، بل من المشاعر العنيفة التي أثارها فيها قربه منها.

ـ يسرّني أن أتعرف إليك، يا«كارلا». هل أنت وحدك هنا؟

ـ وحدي؟ لا. فقد ذهب «كيفين» ليحضر لنا شراباً. لم أشأ الاختلاط بالحشود.

ـ قهوة، كما أرجو؟

هزت رأسها وهي ترفع بصرها إليه لتلاقي نظراته. شعرت وكأنها منوّمة مغناطيسياً، فقد بقيت عيناه مسمّرتين على عينيها. إذا كانت هذه طريقته في جعل المرء يشعر بأهميته، فهي طريقة قاضية! تسارعت دقات قلبها ودار رأسها. إذن هذه خطته لقضاء الأمسية! من حسن الحظ أنها لم تخبره أنها ستحضر هذه المسرحية. ارتجفت وهي تفكر في نتيجة ذلك.

ـ هل أنت هنا وحدك؟

طرحت عليه هذا السؤال وهي تتساءل متى ستأتي امرأة غيور وتختطفه مبتعدة به عنها، رغم أن الكرسي إلى جانبه بقي خالياً.

ـ رفيقتي شعرت بالإعياء ونحن على وشك الخروج، ولم يعد أمامي

وقت لدعوة غيرها، كما لم أشأ أن أخسر التذكرتين، لذا جئت وحدي.

كان وحيداً ويحاول أن يتحرش بها!

سألته بحذر: «هل تعرفني؟».

أتراها تقرأ الدلائل جيداً؟ في أيّ وضع آخر، كان السرور ليمتلكها إذاماقابلت مثل هذا الشخص الوسيم. فيالسوء حظها!

ـ وكيف لي أن أعلم؟ تبدين لي مألوفة. وقد رأيتك قبل الآن في قاعة المسرح.

فكرت في أنه التفت إليها أكثر من مرّة. أتراه ظنّها تعبث معه؟

قالت له كسباً للوقت: «لو تعارفنا من قبل لتذكرت ذلك بكل تأكيد».

وراحت تتساءل أين عسى أن يكون كيفين؟ فالأمور تتعقد.

سألها: «أنت تستمتعين بالمسرحية، إلاّ أنك تبدين متعبة. هل كان يومك شاقاً؟».

ـ كان الأسبوع كله شاقاً.

مال برأسه لحظة وكأنه يرهف السمع. وضاقت نظراته وهو يتأملها: «تبدين لي مألوفة، حتى أنّ صوتك يبدو مألوفاً».

حسناً... ما دام لم يميّز فيها شيئاً، فهل سيميّز صوتها؟

خفضت صوتها قليلاً، واندفعت تقول: «آسفة لتخلف رفيقتك عن الموعد، فالعرض رائع، وقد عشقت الموسيقى التي افتتحوا بها المسرحية. أتوقع أن تحطم أرقاماً قياسية في المبيع».

نظرت حولها عندما تعطّل ذهنها عن التفكير. ماذا يمكنها أن تقول غير هذا؟ وتسارعت خفقات قلبها. لم يخطر في بالها أن تصادف «ماثيو» هنا. سألها فجأة: «هل علاقتك بالرجل الذي يرافقك الآن جدّية؟»

التفتت إليه مجفلة: «كيفين؟ نحن صديقان منذ سنوات».

ـ ألم يحدث قط أن وسّعت دائرة أصدقائك؟

راحت كارلا تبتسم ببطء، فهو يحاول أن يتحرّش بها، ما أعطاها فكرة جديدة تماماً عن رئيسها.

قالت: «هذا يتوقف على الظروف».

لم يعرفها حتماً! وهذا طبيعي بشعرها الأسود القصير، وغياب الماكياج الذي يجعلها تبدو أكبر سناً، والشعر المستعار والنظارات... عدا عن الثوب القصير الذي ترتديه والذي لا يمكن للآنسة «جونز» المسنّة أن ترتديه.

وعاد ينظر حوله. فهل يبحث عن «كيفين»؟

ـ عليّ أن أغادر المدينة، خلال عطلة نهاية الأسبوع، لكنني سأتصل بك عند عودتي. يمكننا أن نتناول العشاء معاً ذات ليلة هذا الأسبوع.

ورفع حاجبيه مستفهماً.

توقّف ذهنها عن التفكير كلياً وأخذت تحدّق إليه، متسائلة لما قرر القدر أن يمنحها هذه الوظيفة، ليعود فيختطفها منها بهذه الطريقة الغريبة.

وعاد يكرر: «كارلا؟ هلاّ تناولت العشاء معي هذا الأسبوع؟».

دار رأسها. فتحت فمها لترفض، ثم عادت فأقفلته وابتسمت له بأدب: «أنا... آه... أنا لست واثقة من مواعيدي».

فتمتم: «سيدة مشغولة. سأتصل بك لتعطيني جوابك».

حدّثت نفسها بأنها معتوهة، إذ كان عليها أن تدّعي أن «كيفين» حب حياتها. والآن كيف يمكنها أن تخرج من هذه الورطة بلباقة؟ وعندما بقيت صامتة، عاد يقول: «إذا أعطيتني رقم هاتفك».

هل سبق وطلبه منها؟ تردّدت، ثم أعطته رقم الخليوي. أتراها تلعب بالنار؟ لم تكن واثقة من أنها ستخرج معه إذا ما اتصل بها. يمكنها أن تعتذر وتتحجج بأنها مشغولة. وكادت تضحك. هل لاحظ أنها تجاوزت الخامسة والعشرين؟ لطالما قال لها الآخرون إنها تبدو أصغر من سنها الحقيقية. ربما عليها أن تذكر له أنها في الثامنة والعشرين، فتخنق رغبته فيها وهي في المهد.

ـ خذي يا «كارلا».

كان هذا «كيفين» الذي انضم إليهما، حاملاً كأسين. ناولها أحدهما

وأضاف: «حسب طلبك».

ثم نظر إلى «ماثيو» مستفهماً. قالت كارلا وهي ترمق ماثيو بنظرة مثيرة للاستفزاز: «كيفين فاولر»، هذا «ماثيو غرافيلين». أحد المعارف الجدد».

بدأت تشعر الآن بأمان أكبر، فقد لا يتصل بها أبداً.

صافحه «كيفين»: «ماثيو». هل تعجبك المسرحية؟».

ـ كثيراً جداً الآن.

رشفت كأس الماء والشوق يتملكها، وقد فارقها أيّ شعور بالتعب. لا يمكنها أن تنكر أنّ مجرد وقوفها قرب «ماثيو»، سواء في العمل أو في بهو المسرح المزدحم، يرسل التيقظ والحيوية في كيانها. فكيف سيكون الحال لو خرجا معاً؟ لو أمضيا بعض الوقت في أحاديث لا تتعلق بالعمل؟ ودّت لو تعرف المزيد عن هذا الرجل المعقد.

أُطفئت الأنوار في إشارة إلى الجميع للعودة إلى مقاعدهم.

عندئذٍ، قال «ماثيو»: «سأتصل بك».

أخذت تنظر إليه وهو يبتعد بخطوات واسعة ليختلط بالجموع المتجهة إلى قاعة المسرح. شعرت بالكآبة للحظة، ثم ابتسمت لكيفين، فهو شاب طيب وصديقها منذ سنوات. وكانت عادة تستمتع بالخروج معه فيمضيان أوقاتاً طيبة بعيداً عن أيّ ضغط، أو أيّ شعور عاطفي غير الصداقة.

لكنها أحسّت بأن الخروج مع «ماثيو غرافيلين»، لن يكون مشابهاً للصحبة البسيطة التي تجمعها بكيفين. فثمة انجذاب متبادل بينهما. هل وحدها التي لاحظت ذلك؟

* * *

بما أنّ «كارلا» تعلم أن «ماثيو» سيغيب عن المدينة طوال عطلة نهاية الأسبوع، لم تتوقع أن يتصل بها. وعندما رن هاتفها الخليوي بعد ظهر يوم الأحد، تملكتها الدهشة.

ـ آلو؟

ـ «كارلا» أنا «ماثيو غرافيلين». قلت لك إنني سأتصل.

ـ وهذا ما فعلته.

وجلست على الأريكة وقد ارتسمت على وجهها ضحكة بلهاء: «كما أنني أذكر أنك قلت إنك ستغيب عن المدينة في عطلة نهاية الأسبوع».

ـ وهذا ما فعلت، لكنني عدت لتوّي.

وأول ما فعله هو الاتصال بها.

سألته: «أين كنت؟».

ـ لديّ كوخ صغير على جزيرة «هنلي». قصدته بالطائرة لأتفقده. وأنا أقصده للراحة إذا إزداد ضغط العمل.

عرفت في الأسبوع الماضي، أنه يملك طائرة برمائية يقودها بنفسه. ولو كان لديها نافذة تطلّ على المرفأ، لاستطاعت رؤيته وهو يطير أو يهبط بطائرته.

ـ وهل هو جميل؟

ـ لا بأس به. هل أنت مشغولة عصر هذا اليوم؟ ما دمت قد عدت أبكر مما توقعت، ربما بإمكانك أن تريني أنحاء المدينة لبعض الوقت، سأدعوك إلى العشاء.

دقت أجراس الإنذار في رأسها. كانت «كارلا» أكثر حكمة من أن تلعب بالنار. إلى متى تتوقع أن تبقى شخصيتيها منفصلتين إذا ما راحت تظهر بهما معاً أمام «ماثيو»؟

لكن فكرة قضاء بعض الوقت معه خارج الشركة أغرتها، فهي فكرة رائعة. ألا يساعدها الخروج معه على أن تفهمه أكثر؟ كما أنه لم يطلب منها سوى التجوّل لرؤية معالم المدينة ومن ثم تناول العشاء معاً. وقد تعود إلى بيتها في الثامنة.

وأجابت: «لا بأس. أين ألقاك؟».

ـ سأمرّ بك لآخذك.

هذه ليست فكرة جيدة.

ـ ما رأيك في أن ألقاك في «كندا بليس»؟ هل تعرف المكان؟

ـ طبعاً. إنه قريب من مهبط طائرتي.

كان «كندا بليس» هو أحد معالم مدينة ڤانكوڤر. وهو نقطة هبوط وانطلاق الطائرات في رحلاتها من وإلى ألاسكا.

ـ أيناسبك بعد نصف ساعة؟

لم يكن وصولها إلى المكان يتطلب كل هذا الوقت. لكن عليها أن تغير ملابسها وتسرّح شعرها!

ـ الريح قوية اليوم. ارتدي ملابس دافئة.

أقفلت الخط وقد شعرت بالدوار. فتحت خزانتها وأخذت تفكر. ما هي الثياب المناسبة لنزهة غير رسمية عند العصر... إنما يجب أن تكون دافئة ومناسبة أيضاً لتناول العشاء في ما بعد؟

إذا كان جاداً بالنسبة إلى مشاهدة معالم المدينة، فهذا لا يهم. خلعت قميصها وارتدت كنزة صفراء، ووضعت الزينة على وجهها بعناية بالغة، آملة أن تطمس أوجه الشبه مع الآنسة «جونز». لم تضع نظارات، ولا حتى نظارات شمسية، إذ لم تشأ أن تذكّره بشخصيتها الأخرى.

بعد ربع ساعة خرجت من شقتها وتوجّهت نحو شاطىء البحر. كان الهواء نقياً والشمس تتألق في السماء الصافية. هبّت الريح باردة من ناحية البحر مثقلة برائحة الملح النفاذة. وعندما اقتربت من مكان اللقاء، تسارعت خفقات قلبها.

رأته قبل أن يراها بوقت طويل فأخذت تنظر إليه وهو يتكىء إلى الحافة، متأملاً المراكب الشراعية الراسية في الماء. نظر إلى ساعته مرة أو مرتين. فهل جعله انتظارها عديم الصبر؟

كادت تقفز من الفرح، ثم جمدت في مكانها. هل هي معتوهة؟ قد تنسف كل ما فعلته بكلمة تسقط منها سهواً، أو حتى بالتلميح إلى التشابه بينها وبين «الآنسة جونز».

رفع «ماثيو» بصره فرآها. وضاقت عيناه وهو يراقب مشيتها البطيئة.

ما الذي يفكر فيه، يا ترى؟ أخذت تتساءل عن ذلك لكنها ما لبثت أن نسيت أفكارها كلها حين راحت نظراته القوية تجذبها إليه.

قالت عندما أصبحت بقربه، وقد ازداد خوفها من أن يكتشف أمرها:

ـ مرحباً.

ـ مرحباً.

وانحدرت نظراته إلى سترتها فوق كنزتها الصفراء ثم إلى ساقيها الطويلتين في بنطلونها الأسود.

أخذت «كارلا» تتأمل «ماثيو»، وكنزته السميكة التي تظهر كتفيه العريضتين وخصره النحيف.

نظر إليها، فابتسمت. كان شعره الأسود رائعاً بعد أن شعثته الريح وعكست الشمس أشعتها عليه، فجعلته أكثر لمعاناً، تماماً كما أرادت أن تراه. وتمنت أن تسرّحه بأصابعها، ولو مرّة واحدة، لتعرف ملمسه.

شعرت وكأنها تسير على حبل مشدود إلاّ أنها قررت أن تتخلى عن الحذر، لتستمتع بموعدها هذا. وستبذل جهدها كي لا يربط بينها وبين سكرتيرته الكفوءة!

ـ إذن، تريد أن ترى ڤانكوڤر، أليس كذلك؟ من أين أنت؟

وتمنّت ألاّ تخلط شخصيتاها المعلومات.

ـ آخر مدينة كنت فيها هي «تورنتو».

وأخذا يسيران معاً على الشاطىء. كان الطريق المخصّص للمشاة عريضاً، والناس يتنزهون في هذه الأمسية العطرة.

قالت: «لم أزرها قط. لا أظنها أجمل من ڤانكوڤر».

ـ إنها مختلفة. وهذه مدينة رائعة. أخبريني. ماذا عليّ أن أرى أولاً؟

ـ لا يمكنك أن ترى كل المعالم في يوم واحد، خاصة وأنك قد بدأت جولتك متأخراً.

ـ إذن، ربما تشفقين عليّ وتمنحيني فرصة ثانية فترافقيني في جولة أخرى.

فضحكت: «أظن أن الشفقة هي آخر ما تحتاجه. فأنت تبدو لي من نوع القراصنة الشجعان».

أمسك بيدها، مغطياً أصابعها بأصابعه قائلاً: «أنا ألاحق ما أريد».

خفق قلبها. كانت قد رأت الناحية العملية من شخصيته، وها هي ترى جزءاً من الناحية الإنسانية فيه. أخذت أصابعه تلامس أصابعها فتسارعت خفقات قلبها. كيف يمكن للإنسان أن يبقى متزناً في حين أنّ حواسه تحتمل أكثر من طاقتها؟

قالت: «إذن، لدينا قاسم مشترك، وأنا أيضاً ألاحق ما أريد».

ونظرت إليه من تحت أهدابها ثم ابتسمت ابتسامة بطيئة مثيرة: «فلنبدأ من حديقة «ستانلي بارك» العامة. ما رأيك؟».

ـ أنا رهن إشارتك، وبين يديك.

تمنّت للحظة لو أن ذلك صحيح. ألم تتخيل نفسها بين يديه؟ طردت أحلام اليقظة، ثم أخذت تتلو على مسامعه ما تعرفه عن هذه الحديقة الشهيرة. وبعد لحظات أسكتها قائلاً إنه لم يدعها للخروج لتكون دليلاً سياحياً. فسألته: «ما الذي تتطلع إليه؟».

ـ ما رأيك أن تكوني الآن مجرد صديقة؟

كان يعبث معها. بإمكانها أن تدرك ذلك. وأعجبها هذا رغم أنه لا يعني شيئاً. بعد هذا النهار، عليها ألاّ تراه مرة أخرى، إذا كانت ذكية. وعليها أن تقرر ما تريد، وظيفتها أم العبث مع «ماثيو غرافيلين».

لكن وظيفتها أهم من أن تجازف بفقدانها.

ـ والآن أخبرني شيئاً عن «ماثيو غرافيلين».

كانت تريد أن تعرف عنه شيئاً جديداً... شيئاً خاصاً تحتفظ به لنفسها.

ـ ولدت ونشأت في شرق البلاد، وجئت إلى هنا منذ أسبوعين، زرت «فانكوفر» في الماضي.

ـ أهذا كل شيء؟ يا له من إيجاز. لا أسرة؟ لا ارتباطات؟

بدت الصلابة على وجهه: «لا أسرة، لا ارتباطات».

ـ كل شخص لديه أسرة. إما بالولادة، وإما بالتبني.

ـ ما عداي أنا.

ـ لماذا؟

بدت البرودة على ملامحه: «والدي ميتان. وليس لديّ أخوة أو أخوات».

ـ ولهذا أصبحت فرداً في أسرة كبيرة مؤلفة من الأصدقاء، الزوجة، والأولاد.

فهز رأسه: «لم يحدث هذا قط ولن يحدث».

بدت «كارلا» هادئة رغم الشرود في نبرة صوته. أخذت تفكر في أن لكل إنسان أسرته. ما الذي حدث له وجعله يبتعد عن الناس؟ وجهه المنغلق وضع حداً لأسئلتها عن هذا الموضوع. لكن فضولها ثار. إذا بقيا على اتصال ببعضهما البعض، فستفتح هذا الموضوع عاجلاً أم آجلاً. إنها مقرّبة من أسرتها، ولا يمكنها أن تتصور شخصاً ما من دون أسرة.

عندما طال الصمت بينهما، أخذت تتحدث في أمور تافهة لتملأ الفراغ. وحين وصلا إلى حديقة «ستانلي بارك»، كان «ماثيو» قد تخلى عن تحفظه وأخذ يطرح الأسئلة. وعاد الحديث بينهما إلى طبيعته مرة أخرى، ثم توقفا ليتأملا النقوش الهندية على الرمز المقدس. كانت «كارلا» تهنىء نفسها على نجاح هذه الأمسية عندما نظر إليها وقال: «وجدتها!».

حبست «كارلا» أنفاسها، ونظرت إليه آملة ألاّ تفضحها ملامح وجهها: «وجدت ماذا؟ كيف نقش الهنود هذا؟».

ـ استنتجت من تكونين.

تخبّط قلبها بين ضلوعها، ثم توقف عن الخفقان. أسبوع واحد فقط! لقد عشقت وظيفتها الجديدة، وتمنت لو تبقى فيها سنوات، لا أن تُطرد بعد أسبوع. هذا ليس عدلاً!

ـ ماذا تعني؟

www.dromancia.com

تملكها الأمل بأن يبدو صوتها طبيعياً، تشوبه نبرة خفيفة من الاهتمام، ومن الفضول أيضاً. ستناضل.

ـ أنت ابنة شقيق الآنسة «جانيت جونز».

طرفت بعينيها: «ابنة شقيق الآنسة «جانيت جونز؟».

ـ الشبه واضح، خطر لي هذا بعد أن افترقنا في المسرح تلك الليلة.

غصّت بريقها وهي تقول: «كيف عرفت «جانيت جونز؟»».

كادت تتلعثم. ماذا ستفعل؟ وكم من الوقت يستغرق وصوله إلى الحقيقة؟

ـ إنها تعمل معي منذ الأسبوع الماضي. وما دامت عزباء ولم تتزوج قط، فلا بد أنك ابنة أخيها. هل هذا صحيح؟ الشبه غريب وغير عادي، لكنها تكبرك بكثير طبعاً.

نظرت «كارلا» إلى الرمز المقدس، راجية أن يلهمها الجواب. فهل تجاريه في فكرته، أم تعترف بالحقيقة؟

ما كان لها أن تقبل دعوته هذه أبداً. فقالت محاولة أن تسلك طريق الخداع: «إذن أنت الرئيس الجديد الذي سيحوّل شركة «كسنجر الكترونيك» إلى شركة كبرى».

إذا عادت إلى بيتها دون أن يكتشف أمرها، فلن تجازف أبداً بلقائه مرة أخرى!

ـ أخطط لذلك مع بعض الأشخاص مثل عمتك. إنها مكسب عظيم للشركة.

أرغمت نفسها على الابتسام، متمنية لو لم تنجرّ أبداً إلى هذه الخطة المعقدة. وأدركت أنها تلعب بالنار بمحاولتها الخروج معه. فهل هي مجنونة؟ وابتسمت: «يسرّني أن أسمع هذا».

أتراه سيقول هذا لجانيت شخصياً؟

ـ تعالي إلى المكتب في الأسبوع القادم. سنخرج مع عمتك لتناول الغداء.

٣ ـ رجل المهمات الصعبة

حاولت «كارلا» أن تجد عذراً بسرعة من دون أن تثير شكوكه. ربما تقول له إن عملها انتقل إلى... إلى «نوفا سكوتيا»، أو إنها تعمل ليلاً وعليها أن تنام في النهار، أو إن بين أسرتها وبين عمتها عداء شديد، وهي لا تتحدث إلى عمتها. وعندما طال سكوتها، اضطرت لأن تجيب: «ساري. هل تريد أن ترى حدائق الورد؟»

لم تشأ أن يشتبه بشيء.

ـ الأفضل أن نعود إلى «غاردن تاون» ونتناول العشاء باكراً. فأنا لم أتناول طعام الغداء، والهواء الطلق جعلني أشعر بالجوع.

ـ «غاردن تاون»! هل زرتها؟

القسم القديم من المدينة هو المكان المفضل للسياح، وبعض خالي البال من المواطنين، فهو مليء بالمتاجر والمقاهي والمطاعم. وهو القسم المفضل من المدينة لدى «كارلا» أيضاً.

ـ الشقة التي استأجرتها قريبة من هنا. ومنذ وصولي وأنا أتجول في المنطقة كل ليلة تقريباً.

ـ لعلك بحاجة إلى بعض التنويع.

ـ وجبة محضّرة في البيت؟ لن أرفض هذا.

فقالت متجنبة الموضوع: «إذن، دعنا نرجو أن يقدم لك أحدهم هذه الوجبة».

ثم استدارت متجهة إلى وسط المدينة. كل ما كانت تريده هو أن تتناول العشاء ثم تعود إلى أمان شقتها. ألاّ أنه قال يستفزها: «ظننتك ستكونين هذا «الأحدهم»

هزّت كتفيها، رغم أن فكرة وجوده في شقتها يحوم حولها فيما هي تعدّ العشاء، مغرية: «ربما يوماً ما».

هذا إذا حدثت معجزة، أو انتهى هذا الادعاء وانكشفت الأمور.

ـ سأطالبك بوعدك هذا.

كانت الريح التي تهب من جهة البحر قد اشتدت مع تقدم النهار، وشعرا بالبرد وهما يعودان سائرين على الأقدام، فحثا الخطى. وعندما رأت الطائرات في المرفأ، قالت: «حدّثني عن طائرتك»

فنظر إليها بحدّة: «وكيف علمت أنّ لديّ طائرة؟».

ـ أنت ذكرت ذلك عندما سألتك كيف تعرف «كندا بليس». هل تملكها منذ فترة طويلة؟

ـ منذ سنوات قليلة. اشتريتها لأتنقّل بها إلى بعض الأماكن البعيدة في «يوكون». يمكنني أن أهبط بها على بحيرة فلا أحتاج إلى مطار.

ـ «يوكون»؟ هل تصطاد في البر والبحر؟

ـ أحياناً. . . ولكن للحصول على عشائي فقط. فأنا أطير إلى البراري لأهرب من شرك الحضارة. التخييم يمنحني الانطلاق. هل جرّبت ذلك يوماً؟

فهزّت رأسها: «لا بد أن هذا ممتع. يبدو أن الكثير من الناس يفعلون ذلك».

كانت تلهث قليلاً لأنها تبذل جهداً لكي تجاريه في السير، فساقا «ماثيو» أطول من ساقيها.

ـ لا أدري عن المتعة في ذلك، لكنه أفضل مزيل للإجهاد والضغط النفسي. ويفضل الطائرة، يمكنني أن أطير إلى بقاع لم يطأها أحد منذ سنين. التجوال واكتشاف البراري يمنحاني فرصة الاسترخاء وإراحة أعصابي. أفضل الأفكار بالنسبة إلى عملي تراودني بعد عطلة أسبوعية طويلة أمضيها وحدي.

ـ في كفاح الإنسان ضد الطبيعة؟

ـ بمكنك أن تقولي هذا. فهذا الكفاح ينمّي مهارات فقدها معظم الذين يعيشون في المدن.

ـ ألا تخاف من الوحشة أو الوحدة أو أن تصيبك كارثة وأنت بعيد عن الحضارة؟

فهزّ كتفيه: «أحب مواجهة الصعوبات، والتغلب عليها».

أومأت. هذا واضح. ألم تلاحظ من قبل أنه أكثر من مجرد رجل أعمال؟ أحست بشيء من التململ وعدم الاستقرار في أعماقه. وحبس نفسه طوال النهار في المكتب يتعارض مع طبيعته.. وقد بدا اليوم حقيقياً أكثر، وهو يسير بخطواته الواسعة بمحاذاة البحر والرياح تشعث شعره.

تمتمت كارلا: «يبدو أنّ ما من أسرة تشغلك وإلا لتملكها القلق عليك وأنت تغيب من دون أيّ وسيلة اتصال».

فهزّ كتفيه: «كما سبق وقلت، ما من أسرة حالياً وما من مشاريع للمستقبل».

ـ لا يمكنك أن تحسم أمر المستقبل. ألا تفكر في الزواج لاحقاً؟

ـ لا. لا أفكر في الزواج. وماذا عنك؟ هل أنت متلهفة للارتباط؟

فهزت رأسها: «لا.. آه... ليس قبل مدة طويلة جداً».

ـ هذا مدهش. معظم النساء اللاتي عرفتهن كن متلهفات للزواج... ويفضلن الرجل الذي لديه رصيد كبير في المصرف.

فردّت وقد فوجئت بالعنف الذي انعكس في صوته: «لعلك تتعرف إلى نساء غير مناسبات».

ـ أتعنين أنك لن تتزوجي رجلاً لديه رصيد كبير في المصرف؟

ـ لست واثقة من أن هدفي الأول هو الرصيد في المصرف. ألا تظن أنّ الإنسجام والحب هما عنصران هامان في هذا الموضوع؟

ـ الحب؟ إنه مجرد مفهوم أنثوي يخفي شعور الشهوة الجسدية الذي سرعان ما يتلاشى ليخلف.. الفراغ!

ـ رباه، أنت إنسان لاذع. من جعلك هكذا؟

توقف عند إشارة السير، ثم نظر إليها بعينين ضيقتين: «ذات يوم، منذ زمن بعيد، تعاهدت أنا وامرأة على الحب والوفاء. كنا مصمّمين على الزواج، إلى أن اكتشفت رصيدي في المصرف وقارنته برصيد صديق لي، وسرعان ما صحّحت خطأها. لا يحتاج الحب والوفاء إلى أكثر من هذا».

ـ ولشدّة ما تألّمت قررت ألاّ تمنح قلبك فرصة أخرى.

ـ لا، لم أقع قط في الغرام. كنا، أنا و«سيلين» نستمتع بوقتنا معاً، لكن عندما كشفت وجهها الحقيقي، تركتها بعد أن صرت أكثر دراية بالنساء.

ـ يبدو أنك كنت سعيد الحظ إذ تمكّنت من الهرب. لكن النساء لسن متشابهات كلهن، يسعين إلى المال ولا يأبهن بالرجل. معظم النساء يتزوجن من أجل الحب.

ـ أتوقع منك أن تقولي هذا، من هي المرأة التي تعترف بأنها جشعة تحب جمع المال؟

فردّت عليه بحدّة: «أنا على الأقل لم أخيّب أملك. فهل بسبب امرأة واحدة عرفتها، تقسم على أن تتجنب النساء كلهن؟».

ـ أنا أحب النساء وأستمتع بصحبتهن. وقد استمتعت بوقتي معك اليوم. لكنني أقسمت ألاّ أتزوج.

ـ هل تريد أن تشيخ وحدك في هذه الحياة؟

ـ إذا أزعجني هذا في سنوات شيخوختي، فسأشتري زوجة. أنت امرأة ممتازة يمكن التحدّث إليها، لا أرى في إصبعك خاتم زواج.

ـ أنا لم أقسم ألاّ أتزوج. لكنني لا أسعى إلى ذلك حالياً. كما أنني لم أجد الرجل المناسب بعد.

ـ أنت وصفتني بأنني لاذع. ولكن بنظرتك الساذجة والمتفائلة إلى الحياة، تدهشني قدرتك على الاستمرار. كيف ستميّزين الرجل المناسب؟

قطعت «كارلا» الشارع مع تبدّل الإشارة الضوئية، وهي تتساءل عن

مدى رغبته في سماع رأيها: «لا بد أن يكون بيننا انجذاب متبادل».

مثل هذا الانجذاب الفوري الذي تشعر به وهي بقربه؟ لكنها لا تحتاج لأن تكون بقربه، فالتفكير فيه وحده يشعرها بالوهن. هذه الفكرة جعلتها تتوقف: «طبعاً، لا بد أن يكون بيننا الكثير من القواسم المشتركة، والمودّة والاهتمام وما شابه. وأظن أن أهدافنا يجب أن تكون واحدة، وأن نريد كلانا من الزواج الشيء نفسه».

ـ ماذا لو عرفت رجلاً سيئاً وحدث بينكما انجذاب، فهل ستتابعين علاقتك به؟ أشك في ذلك.

فضحكت وردّت: «لن أقع في حب رجل سيء، من أجل رصيده في البنك. ولن أتواجد حيث يتواجد الرجال السيئون. كما لن أتواجد حيث يتواجد الأثرياء الحقيقيون. لذا ففرصة أن أصادف رجلاً غنياً وأحبه فرصة ضعيفة جداً».

وأشار إلى مطعم صغير فاتجها إليه ثم فتح لها الباب.

كان المطعم معتماً متواضعاً والزبائن فيه قليلين. لكن الوقت مبكر، ولا بد أن تمتلىء الموائد بالزبائن لاحقاً.

قال: «المطعم لا يبدو فخماً، لكن الطعام رائع».

قالت وهي تنظر إلى الجدران القاتمة اللون والكراسي الواسعة: «أنا أحب الأماكن الشعبية».

وسرعان ما جلست وأخذت تتأمل قائمة الطعام. وكان الهواء النقي قد فتح شهيتها. طلبت فطائر باللحم، ثم نظرت إلى «مائيو» وهي تتساءل عما إذا كان سيفتح موضوع الزواج مجدداً. كانت آراؤه مثيرة للجدل وحزينة نوعاً ما. تساءلت عن تلك المرأة التي نبذته من أجل صديقه الغني، وعما إذا كانت على علم بما أحدثت في نفسه من دمار. أتراه شديد الاستياء، أم أنه لم يعد يهتم فعلاً بابتعاد تلك المرأة عنه؟ نادراً ما يتحدث الرجال عن مشاعرهم بهذا الشكل. وخطر لها أن «مائيو» أشدّ تحفظاً من معظم الرجال. رفع بصره فرآها تنظر إليه: «أحد الأمور التي لفتت نظري إليك

في المسرح، هو أنك كنت برفقة أحدهم. لكنك لم تستأثري به ولم تحاولي أن تلفتي انتباهه إليك وحدك».

ـ أنا و«كيفين» صديقان وحسب.

ـ إذن، أريد أن نكون أنا وأنت صديقين وحسب. إنّ بيننا قاسماً مشتركاً... مثل كره الارتباط.

ـ أنا لا أكره الارتباط.

ـ لقد أسأت التعبير. أنت لا تبحثين عن زوج، أليس كذلك؟

ترددت قليلاً: «ليس الآن، على الأقل».

ـ كنت أعلم منذ البداية أن عدم استمرار العلاقة لمدة طويلة، يمنع الأمور من أن تتعقد لاحقاً.

فكادت تبتسم: «أتعني عندما نتوقف عن الخروج معاً؟».

ـ أنا أكره المرأة المتملكة.

ـ وأنا لا أحب الرجل المغرور، لكنني وجدتك... مميزاً. ولعلك تريد أن تتابع تلك الغطرسة على أيّ حال.

لمعت عيناه مرحاً: «أتريدين أن تتصرفي على هذا النحو؟».

ـ أوه... إنه عرض مثير.

ـ هل نعقد اتفاقية؟

ترددت. ماذا عن تعهدها لنفسها بأن تبقى بعيدة عنه قدر الإمكان خارج أوقات العمل؟ ألا تلعب بالنار بخروجها مرة أخرى؟ لكن عصر هذا اليوم كان ممتعاً للغاية....

ـ إتفقنا! لا تورط بيننا. صديقان فقط.

إنها لا تجرؤ على التقرّب منه أكثر من اللازم... هذا إذا أرادت الاحتفاظ بعملها في شركة «كنسنجر». ليس لديه ما يقلق بشأنه. فهذا النهار منحها فكرة عن علاقتهما المحدودة، كما خطر لها والنادل يقترب من مائدتهما. بإمكانهما أن يتحدثا، ويتنزّها، ويأكلا معاً، ولكن لا شيء أكثر!

وعندما ابتعد النادل، سألته: «والآن أخبرني كيف أصبح رجل الغابات رئيساً لشركة الكترونيات».

استند إلى الخلف، ماداً ساقيه الطويلتين تحت المائدة فلامستا ساقها... هل تعمد ذلك؟ وتيقّظت حواسها للمسته. بعد أن ترك يدها أثناء النزهة، حرصت على ألاّ يلمسها مرة أخرى. من الأفضل أن تنتبه لما يجري فلا تدع جسدها يتأثر. لم تتحرك، خوفاً من أن يفسّر هذه الإشارة بأكثر ممّا ينبغي. ألم تحاول أن تجاريه في رغبته في الحفاظ على حاجز بينهما؟ لكنها كانت واعية جداً للحرارة التي تنبعث من ساقه، ابتلعت ريقها بصعوبة، وحاولت أن تركّز على ما يقوله، متجاهلة الأحاسيس التي تملكتها. وإذا به يقول: «كان عليّ أن أعمل لأنهي سنتي الثانية في الجامعة فحصلت على وظيفة في شركة طباعة. كانوا بالكاد يصرفون الأعمال ويحاولون أن يسهّلوا الأمور بتوظيف عمال منخفضي الأجور. وذات يوم، قدّمت اقتراحاً للمدير، ففكر فيه فترة، ثم نفّذه. وفي أقل من شهرين أخذوا يجنون الأرباح لأول مرة منذ سنوات».

ابتسمت. فهي تحب النهايات السعيدة: «إذن، كنت بطل الساعة. هل درست إدارة الأعمال والاقتصاد في الجامعة؟».

هزّ رأسه ورد: «كنت لا أزال في بداياتي، ولم أحصّل بعد أيّ خبرة عملية. لكن الفكرة كانت منطقية، وعلمتني شيئاً هاماً».

ـ ما هو؟

ـ أنّ ليس كل من يدير عملاً، يفكّر بشكل منطقي. وكثيرون هم الذين يرفضون المجازفة واتباع حدسهم.

ـ لكنك كذلك.

ـ هذا صحيح.

ـ وهكذا نجحت الشركة؟

فأومأ.

ـ هل حصلت على ترقية؟

تردّد «ماثيو» لحظة، ثم لمعت عيناه: «حصلت في الواقع، على جزء من أسهم الشركة، ثم درست نشاط الشركة. وعندما تخرجت من الجامعة، كنت قد غيّرت طريقة إدارتها كلياً، وتدفقت عليها المكاسب. وما زالت أرباحها السنوية ضخمة».

ـ إذن، أصبحت حينذاك رجل الأعمال. ماذا فعلت بعد ذلك؟

استقام في جلسته عندما أحضر النادل الطعام، وبعد ذهابه التفت إلى «كارلا». عندما غيّر جلسته افتقدت دفء وحرارة ساقه. لكنها استطاعت، على الأقل، أن تركز على ما يقوله دون أن تخضع لتأثير التيار الكهربائي الذي يسري فيها. تنفست بعمق، راجية أن تبقى مسيطرة على مشاعرها لأنها تعرف الرجل الذي يشاركها العشاء ونواياه. فقد حرص «ماثيو» على أن يكون واضحاً. إذا كانت المرأة من الحماقة بحيث تعتقد أنها ستحصل على المزيد، فليس عليها أن تلوم سوى نفسها، إذا ما تركها ورحل.

كانت «كارلا» تعلم أنّ عليها ألاّ تتوقع أكثر من موعد عارض في كل مرة. ولكن هذا يكفيها، فهي ستعلم المزيد عن رئيسها، وتجد طرقاً تجعل عملها معه أسهل.

ـ ثمة مواضيع أكثر متعة من ماضيّ المهني.

قالت وقد طابت لها معرفة هذه اللمحة عن الرجل الذي تشتغل معه منذ أسبوع: «ليس بالنسبة إليّ».

لقد أعطاها فكرة عن كيفية وصوله إلى هذا النجاح. واكتشفت أنّ الطاقة والعزيمة ميزتان راسختان فيه، ويمكنها أن تتعلم منه الكثير. لكن الأهم هو أنها تريد أن تجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عن هذا الرجل الخلاب لكي ترضي فضولها الأنثوي.

ـ ماذا تعملين؟ سأرى إن كان بإمكاني أن أخبرك بقصص تتعلق بمهنتك.

شُلّ ذهن «كارلا» عن التفكير. أخذت تحدّق إليه، تتأمل شعره الذي ما زال كما شعثه الريح، وكتفيه العريضتين، وعينيه الزرقاوين. قالت أخيراً

راجية الله ألاّ يسألها عن مكان عملها: «أنا سكرتيرة».

ـ مثل عمتك؟

ترددت، ثم هزّت كتفيها. عمّتها الوحيدة طبيبة بيطرية. لكن ليس على «ماثيو» أن يعرف هذا فهو يظنها عمتها.

ـ أين؟

ـ في شركة صغيرة قرب البورصة. أريد أن أعرف المزيد عن مهنتك. أنت لم تترك شركة الطباعة من أجل شركة الالكترونيات، أليس كذلك؟ ما الذي فعلته بين الجامعة ووضعك الحالي؟

ووضعت لقمة في فمها، فما دامت تأكل لن تستطيع أن تتحدث. كانت ترجو أن يأخذ سؤالها على محمل الجد ويخبرها المزيد، فهي تحب أن تسمعه يتكلم. كان صوته عميقاً غامضاً، وتساءلت للحظة كيف سيدو وهو يهمس بكلمات الحب والمشاعر المحمومة.

كادت تختنق بطعامها فمدّت يدها بسرعة إلى كأس الماء، رافضة أن تستسلم للصور التي تراءت لها عن هذا الرجل. من الآن فصاعداً، عليها أن تنتبه لعملها ولا تستسلم لإغراء الخروج معه. هذا إذا عاد فاتصل بها.

كان يقطّع «قطعة اللحم» التي طلبها عندما أخذت تسعل، فنظر إليها وسألها: «هل أنت بخير؟».

أومأت إيجاباً وهي ترشف الماء ثم قالت: «أخبرني بما حدث بعد شركة الطباعة».

ستركز أفكارها الآن بحزم على ما يقوله ولا تستسلم لأحلام اليقظة!

ـ اكتشفت أنّ لديّ استعداداً ودراية بتحسين الأوضاع الصعبة. وعندما توفّر لديّ بعض المال، قرّرت أن أرى إن كان بإمكاني أن أكرر ما فعلت، أم أنّ ما حصل كان مجرد ضربة حظ.

فأسرعت تقول: «لم يكن الأمر كذلك. وأنا أراهن على أنك كنت ناجحاً منذ البداية».

ـ نعم ولا. المغامرة التالية كانت في مجال المعدّات الرياضية، في

متجر في «تورنتو». وتطلّب الأمر وقتاً أطول لمعالجته. حينذاك، تعرفت إلى «سيلين».

ـ سيلين؟

ـ المرأة التي طلبت يدها.

ـ آه.

كانت متلهفة لمعرفة كل شيء عنها. ولم تعرف كيف تدفعه للتحدّث عنها من دون أن تبدو فضولية. أشارت بيدها: «تبدو لي حمقاء، على أيّ حال».

ـ لماذا؟

ـ لأنها اختارت سواك.

أخذ يتأمل «كارلا» عبر المائدة. رفعت بصرها فالتقت نظراتهما، وإذا بذلك الشوق الذي تملكها حين احتكت ساقه بساقها يعاودها.

ـ هذه ملاحظة هامة من امرأة اعترفت لتوّها أنها لا تهتم بالزواج أو بالعلاقات الطويلة الأمد. لماذا ترينها حمقاء؟

فضحكت: «أراهن على أنك أخذت تتقدم في عملك منذ تركتك. ما من شيء يحث المرء على تحسين وضعه مثل الدوافع الشخصية. ولو أن «سيلين» تعلم بما وصلت إليه لانفجرت غضباً من نفسها».

فسألها بنعومة: «وأنت، ألا يهمك الرصيد في المصرف؟».

ـ هيا يا «ماثيو»! الأمر واضح. ما دمت قد نجحت في أول شركة وأنت صغير السن، فلا بد أنّ عملك كان أفضل في مغامرتك الثانية نظراً لخبرتك الأولى. ألا ترى هذا منطقياً؟ لقد عملت في الطباعة، والمعدات الرياضية، والأجهزة الأمنية. والآن الالكترونيات. من الواضح أنك تعرف ما تفعله. ومع كل نجاح يمكنك أن تطالب بحصة أكبر من الأرباح، بحسب ما أعرفه عن الأعمال.

وضع الشوكة من يده: «وكيف عرفت بمسألة الأجهزة الأمنية؟».

توقّف قلب «كارلا» للحظة عن الخفقان ثم قالت بوقاحة: «أنت

أخبرتني».

كان قد أخبرها بهذا، لكن ليس اليوم. علمت بالأمر لأنه لا يزال على اتصال بالشركة في «تورنتو»، وبصفتها «جانيت جونز» يفترض بها أن تعلم ذلك. وتابعت تقول: «إنها الشركة التي تركتها لتوّك».

رباه، لن تنجح قط في هذا! فقد علم على الفور أنه لم يذكر هذا الأمر اليوم. وسرعان ما يكتشف من أين علمت هذا... وبعدئذٍ، يطردها من العمل. نظر «ماثيو» بعيداً وكأنه يفكر، فيما رفعت هي كأسها إلى شفتيها متسائلة كم سيطول الوقت قبل أن...

ـ أنا متعب أكثر ممّا ظننت، إذ لا أذكر أننا تحدثنا عن هذا الأمر.

ـ إذا كنت متعباً فيمكننا أن نسرع في تناول الطعام وننهي السهرة.

ما بدأ مزاحاً راح يستحيل توتراً، خصوصاً عندما أخطأت بالحملقة فيه بهذا الشكل. إذا استطاعت أن تخرج من هذا الموقف آمنة، فستقسم على ألا تتحدى القدر مرة أخرى.

قال «ماثيو» بجفاء: «لا أظن أني متعب إلى هذا الحد. على الأقل لا أتثاءب مثل ما فعلت أنت ليلة الجمعة الماضية».

ـ أرجوك، دعنا ننسى ذلك المساء. لا أصدق أنني كدت أنام أثناء العرض. إنني أحاول أن أحظى بما يكفي من الراحة، كالنوم باكراً ليلة الأحد.

وأضافت محاولة تغيير الموضوع: «سأكون مشغولة جداً في الأسبوع القادم، وما زال عليّ أن أحضّر ملابسي. عصر هذا اليوم كان رائعاً لكن يجب أن أعود إلى البيت الآن، لأغسل شعري وأنظّم أموري».

كانت تثرثر، وهي تعلم هذا، لكن جلّ ما أرادته هو أن تنهي هذه الأمسية بسرعة قبل أن تحلّ كارثة ما.

أومأ ماثيو برصانة: «أعلم أنّ غسل شعرك يتطلّب وقتاً طويلاً».

احمر وجهها وأخذت تأكل بنشاط، فغسل شعرها القصير لا يتطلّب وقتاً يذكر، كما أنّ تسريحته تجعل العناية به سهلة.

www.elromancia.com

قال: «قابليني غداً لتناول الغداء».

ـ لا أستطيع. فيوم الإثنين أكون دوماً مشغولة.

ـ الثلاثاء إذن؟

تقابلت أعينهما، ثم هزت كتفيها: «عليّ أن أراجع برنامج عملي. فأنا لا أحصل على ساعة كاملة للغداء».

وإذا أصرّ، فستحرص على أن تكون مشغولة كل يوم.

ـ أطلبي من رئيسك إذناً، يوماً ما. أنا واثق من أن عمتك تحب أن تعرض مزايا شركة «كنسنجر الكترونيك».

ـ هممم...

أوشكت على الانتهاء من الأكل، فنظرت إلى طبقه وكادت تتأوه. ما زال الطبق مليئاً تقريباً. هل من طريقة تشجعه بها على الإسراع في الأكل؟

وشعرت بالارتياح عندما انتهى أخيراً وطلب الحساب من النادل. وتناوبت مشاعرها بين السرور البالغ بأحاديثهما، والخوف مما قاله بغباء، وكاد يفضحها. عندما خرجا من المطعم، ابتسمت ومدّت يدها تصافحه: «شكراً على العشاء وعلى هذه الأمسية الجميلة. أرجو أن تكون قد استمتعت برؤية حديقة «ستانلي بارك»».

أمسك بيدها دون أن يصافحها مودّعاً كما أرادت، ثم قال وهو ينظر إلى آخر الشارع: «سأرافقك إلى بيتك في سيارة أجرة».

ـ بيتي ليس ببعيد، ويمكنني أن أسير إليه.

ـ كما تشائين، لكن الجو أصبح بارداً ومن الأفضل أن نستقلّ سيارة.

ـ يمكنني الذهاب إلى بيتي بنفسي.

ـ هل من سبب يجعلك لا تريدينني أن أرافقك إلى شقتك؟ لا أنوي أن أدعو نفسي للدخول. فستكونين مشغولة بشعرك وبتنظيم أمورك!

عضّت كارلا شفتها، فهو يغيظها بدعابته. وكادت تضحك. لكنها خافت أن يتذكر عنوانها الذي ورد في ملف أوراقها.

قالت بفتور: «ما من سبب على الإطلاق».

ما من سبب يمكنها أن تبوح به.

استوقف سيارة أجرة، سرعان ما وقفت بهما أمام شقتها. نزل «ماثيو» وأمسك لها الباب لتخرج. لم تلاحظ عليه أي دليل شك. وطلب من السائق أن ينتظره، فاستبشرت خيراً، ثم دخل معها المبنى. وأمام باب شقتها، قالت وهي تخرج المفتاح: «شكراً مرة أخرى. لقد أمضيت وقتاً رائعاً».

فتحت الباب ثم التفتت إليه لآخر مرة. كان «ماثيو» خلفها مباشرة، فوضع يديه على كتفيها ثم مال إلى الأمام يلامس خدها بأنامله بنعومة: «شكراً لخروجك مع هذا الصديق الجديد».

أومأت غير قادرة على الكلام، وقد شعرت برأسها يدور. بللت شفتيها بطرف لسانها بخفة، بعد أن فقدت قدرتها على الحركة أو النطق. وبآهة رقيقة أخذها «ماثيو» بين ذراعيه وعانقها طويلاً.

طوّقته بذراعيها وبقيت مستكينة في أحضانه وقد ملأت البهجة كيانها. كان جسمه دافئاً مشحوناً بالكهرباء، فشعرت بأنوثتها الرقيقة الناعمة.

عندما ابتعد عنها قليلاً، وقفت جامدة، صامتة وكأنها تمثال من حجر. لم تشعر يوماً بوهن في ركبتيها قبل أن تقابل «ماثيو غرافيلين». تملكها سرور مبهم وهي تراه يتنفس بصعوبة مثلها، فهذا يعني أنّ هذه المشاعر لم تكن من طرف واحد.

قال لها قبل أن يستدير متجهاً إلى المصعد: «إذا لم تتصلي بي حتى يوم الثلاثاء، فسأتصل أنا بك».

انتظرت حتى نزل المصعد، ثم دخلت شقتها. ما أفظع أن يقسم على عدم الزواج... يجب أن يزجّ به في السجن لحماية النساء منه. رباه، ما أسوأ ما أشعر به... قالت هذا تحدث نفسها وهي تندفع إلى النافذة تلصق جبينها علّها تتمكن من رؤية سيارة الأجرة. وفي لحظات كان «ماثيو» يخرج من المبنى ويصعد إليها.

عادت تحدث نفسها وهي تراقب سيارة الأجرة تبتعد: لا تتصرفي

www.elromancia.com

كالمراهقات، فما من مستقبل لكما معاً! هذا ما أوضحه «ماثيو».

وخطر لها أن الأوان قد فات لمثل هذه النصيحة!

تركت النافذة وهي تحاول أن تجد عذراً لكي لا تلبّي الدعوة على الغداء يوم الثلاثاء من دون أن تسبب لنفسها مشكلة.

* * *

أحد الأمور التي يتباهى بها «ماثيو غرافيلين» هو قدرته على التحكم بحياته. كان العمل يشغل معظم وقته، وهو يعشق هذا الوضع. فالتحديات والمشاكل التي يواجهها تمنحه مجالاً للإبداع والتجديد. والحل الناجح يمنحه الرضى. إدراكه أنه يبني للمستقبل، ويبعث التغيير والارتياح في حياة مئات المستخدمين يشعره بالارتياح والرضا عن ذاته. وعندما يقوم برحلاته إلى البراري، يبتعد عن أيّ عمل ويركز على الطبيعة وعلى الشعور بالأرض وما تثيره من تحديات. كان يشعر بالقناعة والرضى في نهاية كل يوم، فينام قرب النار وهو يعلم مرة أخرى أنه كافح عناصر الطبيعة وانتصر. ونادراً ما كان يطيل علاقته بامرأة. فهو يخرج مع النساء من دون التزام، ويستمتع بصحبتهن، وقد تدوم العلاقة التي يبنيها أشهراً.

حتى هذا الصباح.

ألقى بقلمه ووقف، ثم سار إلى النافذة التي تشرف على المرفأ وساحل ڤانكوڤر الشمالي. لكنه لم يرَ شيئاً، إذ تراقص أمامه خيال «كارلا جونز». تذكّر تعليقاتها المرحة، وسمع ضحكتها، وكاد يشعر بها بين ذراعيه مرة أخرى.

هل طال بُعده عن النساء؟ عمله اليومي في شركة «تورنتو» أرهقه، وتغيير إدارة شركة «كننجر الكترونيك» للنهوض بها في أسرع وقت ممكن، أتعبه أيضاً. وهو لم يخرج في موعد غرامي منذ أشهر، لكنه كان قد خطط لذلك ليلة الجمعة الماضية من دون أن تفلح مخططاته.

كان واضحاً مع «كارلا»، فقد أوضح لها أنه لا يريد علاقة طويلة الأمد. ولحسن الحظ، وافقته هي الرأي. وهذا ما يريده تماماً. ورغم

أنهما انسجما معاً، إلاّ أنه لم يبدُ عليها الحماسة للخروج معه مرّة ثانية. في الواقع، تملكه شعور بأنها مرتبطة، فتعمدت أن ترفض أي موعد. أتراه اخطأ في قراءة الدلائل؟

سمع ضجة في المكتب الخارجي، فتوجه إلى الباب المفتوح حيث رأى «جانيت» واقفة بعد أن وضعت حقيبة يدها في الدرج.

راقبها لحظة دون أن تنتبه لوجوده. الشبه بين «جانيت» و«كارلا» قوي. لكنه حين تأمّلها أكثر رأى الاختلاف. كانت حركة «جانيت» أثقل بقليل، كما هي الحال غالباً مع النساء اللاتي بلغن الخمسين من العمر. كما أن شعرها أبيض وممشط إلى الخلف على شكل كعكة أنيقة، فيما كان شعر «كارلا» الأسود اللامع يرقص في الهواء.

ـ صباح الخير.

رفعت نظرها إليه مجفلة، ثم أومأت برزانة: «صباح الخير، يا سيد «غرافيلين»».

كاد يبتسم لأنها تصرّ على إبقاء الرسميات بينهما: «تعرّفت إلى ابنة أخيك خلال عطلة نهاية الأسبوع».

لم يكن بحاجة إلى أن يخبرها. ولكن ما كانت «جانيت» لتعلم إلا إذا اتصلت «كارلا» بعمتها بعد أن تركها الليلة الماضية. لسبب ما، أرادها أن تعلم.

سألته: «كارلا؟».

فأومأ: «تناولنا العشاء معاً الليلة الماضية».

ـ آه.

وبقيت صامتة.

ـ هل من مشكلة؟

هزّت رأسها وهي تلتقط دفتراً قلماً: «ما من مشكلة».

يوماً ما، سيكتشف أمراً هو مشكلة بالنسبة إليها. لكن، والحمد لله، موعده مع ابنة أخيها لم يكن مشكلة.

www.elromancia.com

٤ ـ اللعب بالنار

كل صباح، يحب «ماثيو» أن يبدأ عمله مع «جانيت» في تحديد أكثر مهمات النهار أهمية، ثم يدعها لتنجز عملها. كان يحب هذا الفاصل قبل أن يبدأ عمل اليوم المحموم، وهذه عادته منذ سنوات. على أيّ حال، اجتماعه مع «جانيت» مختلف عن اجتماعاته المختصرة مع «سارا» في «تورنتو».

أضفت جانيت بعداً جديداً إلى الاجتماعات، فلديها طريقة جديدة في النظر إلى الأمور. وأظهرت رغبة في التعبير عن آرائها. كما تحيط بها حالة من الصفاء تروق، وبشكل غريب، لرجل سار إلى النجاح بخطوات سريعة.

عندما جلسا في مكتبه، راجع التقارير التي قرأها أثناء هذه العطلة الأسبوعية في كوخه في البراري... تقارير كان المدراء بأمسّ الحاجة إليها. إثنان منها استحقا ثناءً خاصاً لاكتمالهما، فطلب منها إرسال ملاحظة بهذا الشأن باسمه. رفع بصره فرأى نظرات «جانيت» على فمه، ما جعله يجفل. تلاقت أعينهما فخفضت بصرها، وقد علا الاحمرار وجنتيها. مضت لحظة شعر فيها بارتباك غريب. أتراها تتساءل عما إذا كان قد عانق ابنة أخيها؟ وعاودته ذكرى ذاك العناق، فهو لا يزال يشعر بتأثيره بعد مضي اثنتي عشرة ساعة عليه، ورغم بُعد كارلا عنه.

نظر إلى فم «جانيت»، فلاحظ لمعاناً خفيفاً وكأنها وضعت أحمر شفاه. لكن اللون لا يماثل اللون الأحمر المتألق الذي كانت «كارلا»

لمعه. وبدت شفتاها متوترتين استياء. ربما سيتسبب خروجه مع ابنة أخيها بمشكلة.

قالت «جانيت» بتكلّف: «طلبت مني يوم الجمعة أن أرتب اجتماعاً بينك وبين «بيرسيل غروب». لم أستطع الاتصال «بريتشارد تايلر» يوم الجمعة وسأتابع محاولاتي هذا الأسبوع».

ألقى «ماثيو» بأحد التقارير على المكتب: «هذا هو التقرير الذي كتبه «مايرز» عن «بيرسيل غروب». يبدو أنهم كانوا من أكبر زبائننا منذ عامين. لعلنا صلتنا بهم فقصدوا شركة أخرى، وأنا أريد أن أستعيدهم. ربما تودّين قراءة التقرير. أظن أنّ هذه الصفقة ستُحدث تغييراً كبيراً في الشركة».

ـ هل ما زلت تريد دعوتهم على الغداء؟

ـ نعم

ـ لماذا؟

ـ ماذا؟

ـ أتساءل فقط عما يجعلك تريد غداء جماعياً بدلاً من عقد اجتماع هنا، حيث يمكنك الحصول على الحقائق والأرقام بلمسة من إصبعك؟

فأومأ: «إنها الخطوة الأولى التمهيدية. أريد أن أقابل أصحاب القرار، وأعرف طريقة تفكيرهم، وماذا يريدون ثم أقدم لهم ما يناسبهم».

بدا عليها التفكير، ثم سألت: «إذن، أنت لا تريد فقط أن تريهم مدى أهميتنا الآن؟».

ـ لسنا ذوي أهمية حالياً. تغيير الشركة سيتطلب وقتاً، والطريقة الوحيدة للقيام بذلك هي أن نمنح الزبون ما يريده بالضبط. لكننا بحاجة لمعرفة ذلك. لا لأن نخمّن ما يريده.

ـ إذن، ربما عليّ أن أبذل المزيد من الجهد في الكواليس.

ـ وكيف ذلك؟

ـ يمكنني أن أسأل سكرتيرة السيد «تايلور» عما يحبه وما لا يحبه،

www.elromancia.com

فأرى الأمور بأبعادها الصحيحة.

ـ فكرة جيدة. ولكن لا تلحّي عليها إذا لمست منها عدم تعاون.

ـ سأكون بالغة الحذر.

ـ أعرف أن بإمكاني الاعتماد عليك.

وتردّد قليلاً، ثم أضاف: «إعتبري نفسك مدعوة على الغداء. إذا أردت أن تكوني يدي اليمنى، فعليك أن تتابعي هذا المشروع منذ البداية. كما أريد أن أحصل منك على أيّ معلومات تفوتني من ذلك الاجتماع، أو لم يفكر فيها المدراء».

وتساءلت للمرة الألف، عما إذا كانت أفعالها ستنتهي بكارثة. الوظيفة مثالية، لكنها تتصرف بطريقة لا أخلاقية. فكّرت لأول مرّة في أن تبوح له بالحقيقة كاملة قبل أن يقتنع بكفاءتها.

وعندما عادت كارلا إلى مكتبها، كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة. راجع «ماثيو» المخططات وطلب تنظيم اجتماعات، كما طلب منها أيضاً أن ترسل أجوبة على معظم المراسلات التي تلقاها. ورغم هذا النهار المليء بالعمل، كادت كارلا ترقص أمام مكتبها فهي تعشق المسؤولية التي منحها إياها، وتستمتع بالتحديات.

استلمت العمل منذ أسبوع فقط، وها هو يكلّفها بمهمات كبيرة، مستغلاً مهاراتها وخبرتها وحسها العملي الغريزي الذي قوّته بفضل السيد «دانيلز». إنها تتحدث وكأنها يده اليمنى! وستريه كفاءة ابنة الثامنة والعشرين.

وجدت على مكتبها مغلّفاً طبع عليه «إلى الآنسة «جونز»». وضعت ما أحضرته من ملفات وأوراق من مكتب «ماثيو» جانباً، ثم تناولت المغلف وفتحته.

في الداخل، وجدت رسالة مختصرة مطبوعة على الآلة الكاتبة.

(أنا أعرف هويتك الحقيقية. ألا تظنين أنّ «ماثيو غرافيلين» سيجد ذلك أمراً هاماً لو عرفه؟).

www.elromancia.com

غاصت كارلا في كرسيها و عاودت قراءة الرسالة بذهول وعدم تصديق. بعدئذٍ، نهضت وخرجت من مكتبها تنظر إلى الردهة، لكنها كانت خالية. نظرت إلى الخلف، وتملكها الارتياح عندما لم تجد «ماثيو» خلفها يسألها عما تفعله. من تراه وضع تلك الرسالة على مكتبها؟ ولماذا؟

أعادت الرسالة إلى المغلف ثم وضعته في حقيبة يدها. ما معنى هذا؟ هل ثمة من ينوي فضحها؟.

تنفست بعمق ثم مدت يدها إلى الملفات أمامها. لن تفضح أمرها الآن، فما زال عليها أن تثبت له أنها ضرورية ولا يمكنه الاستغناء عنها، قبل أن تغامر بإبلاغه الحقيقة.

من هو مرسل تلك الرسالة؟ فكرت في عدد من المدراء الذين قابلتهم خلال الأسبوع الماضي، لكنها لم تقتنع بأن المرسل هو واحد منهم. أخذت تفكر جاهدة، وأخيراً نبذت فضولها واستغرقت في عملها. ستفكر بأمر الرسالة في ما بعد، أما الآن فهي مشغولة.

اتصلت بسكرتيرة السيد «تايلور» في «بيرسيل غروب» وشرحت لها بصراحة ما تريد. وبعد أن تأكدت مما يفضله، طلبت إيصالها به لترتيب أمر الاجتماع على الغداء.

كان السيد «تايلور» بالغ الكياسة والتهذيب، ووافق على موعد الغداء يوم الخميس، وأبلغها أنّ زوجته ستكون برفقته. وكانت «كارلا» قد علمت ذلك من السكرتيرة التي أوضحت لها أنّ الزوجة هي في الواقع القوة الدافعة خلف كواليس الشركة.

بعد أن أمضت «كارلا» عصر يوم الأحد مع «ماثيو»، أصبح من الصعب عليها أن تتجاهله أثناء أيام العمل. فهي تسمع صوته من الباب المفتوح حين يتحدث في الهاتف، فتتذكر صوته أثناء تناولهما العشاء معاً. سمعت ضحكته مرة، فخفق قلبها، وتمنت لو ترى وجهه. وكانت تعلم أن تأثيره أشبه بالتنويم المغناطيسي.

لقد عانقها كما لم يعانقها أحد من قبل، وأخذت تحلم لحظة وهي تتذكر

ذلك.

شعرت بالخجل عندما رآها تنظر إليه، لكن الاحمرار الذي شعرت به لذكرى ذاك العناق لم يختف على الفور. ووجدت نفسها تسرع في ترتيب دعوة «بيرسيل غروب» على الغداء... فقط لكي تراه مرة أخرى.

دخلت إلى مكتبه قبل الغداء. وعندما أطلعته على تأكيد موعد الغداء، دوّن الموعد في مفكرته الخاصة قائلاً: «أحسنت. أعجبني أن تأخذه إلى مطعمه المفضّل. سؤالك السكرتيرة فكرة حسنة».

أومأت، كارهة الخروج من المكتب. التفت إليها لحظة ثم سألها: «ماذا كنت لتفعلين لو أن أحدهم اتصل بك ليسألك الشيء نفسه؟».

ـ أخبره بما يحضر في ذهني من معلومات عامة لأوحي له أني أتعاون معه. ما زلت لا أعرف، لسوء الحظ، مطعمك المفضل في هذه المدينة.

ـ عليّ أن أجرب مطاعم عدة. لقد دعوت ابنة أخيك إلى الغداء في أحد أيام هذا الأسبوع. وأرجو أن ترافقينا. ربما بإمكانك، أو بإمكانها هي، اقتراح مطعم يعجبني.

ـ يمكنني أن أتصل بها، إذا شئت.

خطرت لها فكرة عبقرية. ستدّعي أنها اتصلت «بكارلا»، وتخبره أن الوقت الوحيد الذي يناسبها هو يوم الخميس. فهذه الحجة ستمنحها قليلاً من الوقت حتى تعثر على حل مناسب لورطتها، وهي أفضل من أن تجد نفسها في وضع محرج. وإذا كانت تتمتع بذرّة عقل عليها أن تتوقف عن رؤية «ماثيو» خارج أوقات العمل. لكن العقلانية، كما يبدو، تنقصها اليوم. وبالرغم من زلة اللسان التي كادت توقعها في مشكلة الليلة الماضية ما زالت تريد أن تمضي بعض الوقت معه... تريد أن تراه بعيداً عن المكتب. وربما يتعانقان مرة أخرى أو مرتين.

كانت تعلم أن بإمكانها أن تقول له، بصفتها «كارلا»، إنها لا تهتم به، لكنها لا تستطيع أن تكذب إلى هذا الحد. فثمة شيء بالغ الإغراء في «ماثيو غرافيلين»، وهي تريد فعلاً أن تراه مرة أخرى. أرادهما أن يكونا

صديقين، لكنها ستترك الأيام تحدد مجرى الأمور. تذكرت تلك الرسالة القصيرة. في لحظة جنون، فكرت في أن تفضي إليه بالحقيقة عندما تراه بصفتها «كارلا». لكن ما الذي يهدف إليه المرسل؟

ومع نهاية النهار، كانت «كارلا» قد غيّرت رأيها مرات عدة، فهي تعشق عملها الجديد، وتستمتع بالعمل مع «ماثيو»، لكن الجهد الذي يترافق مع الوضع كله راح ينهكها... خاصة.. وأنّ تهديد كاتب الرسالة يحوم فوق رأسها...

أخبرت «ماثيو» عند العصر أن «كارلا» لا تستطيع قبول الدعوة على الغداء، فأومأ برأسه وغيّر الموضوع. لم تستطع أن تعلم ما إذا شعر بخيبة أمل. لعله لاحق الموضوع لأنه وعدها أن يدعوها على الغداء، فيما لا يهمه، في الواقع، سواء قبلت الدعوة أم لا.

وأصابتها هذه الفكرة بخيبة أمل.

* * *

كانت «كارلا» قد خرجت من الحمام لتوّها بعد أن غسلت وجهها ونظفته من آثار الماكياج، حين رن هاتفها الخليوي. اندفعت إلى غرفة الجلوس لتحضر حقيبة يدها حيث الهاتف، وقالت لاهثة: «آلو؟».

قال «ماثيو»: «مشغولة طوال الأسبوع؟».

ـ آه... لدي، في الواقع، وقت فراغ يوم الخميس. لكنني علمت أنك مشغول يومها.

ـ والأسبوع القادم؟

هذا يدل على اهتمامه بها. وشعرت بدفء في قلبها. جلست على الأريكة ورفعت قدميها، شاعرة بالحماسة والفرح. إنه يريد أن يراها مع أنه لم يظهر ذلك أمام «جانيت»!

ـ لماذا تسألني دوماً عندما أكون بعيدة عن مفكرتي؟

ـ لماذا لم تتوقعي أن أسألك، فتتفقدي مفكرتك قبل أن تتركي العمل؟

فقالت ببطء: «لم أكن أظن أنك ستهتم للأمر».

ـ لِمَ لا؟ ظننتك تحبين أن تري مكان عمل عمتك؟

ـ سأذهب إلى هناك حتماً، ذات يوم.

ـ احرصي على القيام بذلك عندما أكون موجوداً، لأنني سأجول بك في المكان بنفسي.

ـ آه.

ـ بالتأكيد، وبهذا أسمع تعليقاتك مباشرة. أنا أعلم أن الصديق يقول الحقيقة دوماً، أليس كذلك؟

ـ هذا صحيح.

ـ كيف يمرّ عليك اليوم الحافل بالعمل. أتأكلين غداءك وأنت تعملين؟

ـ تقريباً. كان العمل اليوم محموماً. لكنني أعشق عملي، ولم أضطر إلى العمل ساعات إضافية اليوم.

ـ هل غالباً ما تعملين لساعات إضافية؟

ـ عند الحاجة فقط، ولا مانع لديّ. أحب أن أعمل بجد.

ـ عمتك قالت شيئاً مماثلاً الأسبوع الماضي. وهذا أمر سارٌ من وجهة نظر رب العمل، وغير عادي بالنسبة إلى موظفة صغيرة السن مثلك.

ـ مثلي؟

ـ عادة ما يكون العمّال الأكبر سناً أكثر جلداً على المثابرة، ولا يمانعون في القيام بما يلزم لإنهاء العمل. أما العمّال الأصغر سناً فهم أكثر أنانية ويهتمون بمصلحتهم الشخصية، أكثر مما يهتمون لأمر الشركة.

فقالت وقد أغاظها كلامه: «لا أظن أنّ هذا الأمر مرتبط بالعمر. فهو ميزة فردية غالباً».

ـ استناداً إلى خبرتك الواسعة؟

ـ حسناً، لقد عملت سنوات عدة ورأيت خلالها أشخاصاً حمقى شيباً وشباناً، وأذكياء شيباً وشباناً. ليس للعمر علاقة بالأمر. ماذا تنوي أن

تفعل؟ هل ستطرد كل مستخدم في شركة «كنسنجر» تجده دون السن المناسب، ولا تستخدم سوى الكبار في السن؟

ـ لا، لكنني حرصت على أن تكون مساعدتي ناضجة، ولم أختر فتاة شابة تهتم بالغزل أكثر من اهتمامها بالعمل.

ـ هذا تقييم غير منصف، الكثير من الموظفين الشباب يجدّون في العمل. أتعني أنك لا تريد أن تمنح امرأة أصغر سناً فرصة العمل معك أبداً؟

ربما عليها أن تستمر في التظاهر لتحتفظ بعملها... وجعلتها هذه الفكرة تغمض عينيها إحباطاً.

ـ هذه مسألة فيها نظر، ألا تظنين هذا يا «كارلا»؟ عمتك كفوءة في العمل. ولست مضطراً إلى البحث عن مساعدة أخرى، سواء كانت شابة أو كبيرة في السن.

ـ وماذا لو وقعت في الغرام وتزوجت وتركت العمل؟

ـ أتظنين هذا محتملاً؟

سكتت لحظة ثم قالت: «لا».

الأمر الوحيد الذي قد يجعلها تترك العمل هو رئيسها، وهي تكبره بحسب علمه، بعشرين عاماً. ربما كانت «باث» على حق، فهي فكرة غبية... فكرة عليها أن تلتزم بها إذا أرادت الحفاظ على عملها.

ـ من بين كل الأمور التي يمكننا التحدث فيها، لماذا نحصر أنفسنا في هذه النظريات عن العمر والعمل؟

ـ إذا استقالت عمتي، فهل تستخدمني؟

سكت ثوانٍ عدة، ثم أجاب: «عمتك لن تستقيل».

ـ ولكن إذا استقالت وقدمت أنا طلباً للعمل، فهل تستخدمني؟ إنني ماهرة جداً، ولست لعوباً، ويمكنني أن أقدم شهادات خدمة ممتازة.

فردّ ببطء: «لا. لا أظنني سأفعل».

ـ أشكرك كثيراً.

www.elromancia.com

ـ ليس للأسباب التي تظنينها.
ـ وما أدراك بما أظنه؟
فقال متجاهلاً كلامها: «لن أستخدمك بسبب الانجذاب الذي بيننا».
اكتسحت كارلا موجة ساخنة، فهذه فظاظة منه. إلا أن هذه الموجة استحالت إلى زهو وسعادة. لم يكن الانجذاب من طرفها فقط!
ـ ظننت أنّ الشعور من طرفي وحدي.
ـ أيتها السيدة، أنت تشعلين العالم لمجرد سيرك على الرصيف، والرجل الذي لا يلاحظ ذلك نصف ميت. لكن قواعدي وقوانيني صارمة وتعارض خروجي مع موظفاتي.
ـ آه.
ـ ولكن ما دمت لست مستخدمة عندي، لا مانع لدي من رؤيتك مرة أخرى.
قالت وقد عاد قلبها إلى الخفقان: «ما أجمل هذا الكلام».
هل ستتعود على ذلك قط؟.
ـ حسناً، إذا لم يكن هناك فرصة لتناول الغداء معاً، فما رأيك في تناول العشاء ذات ليلة هذا الأسبوع.
ـ خلال هذا الأسبوع؟
وسكتت تفتش بلهفة عن عذر للرفض. يمكنه بسهولة أن يدعو نفسه إلى تلك الوجبة المحضّرة في البيت التي تحدث عنها.
ـ أريد أن أراك مرة أخرى ولا يمكنني ذلك في عطلة نهاية الأسبوع المقبلة. سأذهب إلى الكوخ مرة أخرى. في الواقع، أفكر في أن أسأل عمتك إن كان بإمكانها أن ترافقني. إننا نعمل على عرض جديد لزبون سابق وأريد أن أنتهي منه في أسرع وقت ممكن. بإمكاننا أن ننجز الكثير من الأمور بعيداً عما يشغلنا أو يلهينا.
عطلة نهاية الأسبوع في ذلك الكوخ البعيد...؟ هي و«ماثيو» وحدهما؟ عليها أن تسرع في تدبّر عذر ما. لا يمكنها الاستمرار في تمثيل

دور تلك المرأة الناضجة طوال عطلة نهاية الأسبوع. ستضطر إلى غسل وجهها من الماكياج بعد ساعات، وذلك لتوفر لبشرتها وقتاً للتنفس، كما أنها لا تستطيع النوم مع ذلك الشعر المستعار الذي يسبب لها الحكة. وإذا ساء حظها واشتعلت نار أو ما شابه وهربت إلى الخارج فسيعلم على الفور...
ـ «كارلا»؟
ـ آه، آسفة. لا، هذا الأسبوع غير مناسب للخروج للعشاء.
ـ هل أنت مشغولة كل ليلة؟
ـ أنا لا أخرج عادة في مواعيد أثناء الأسبوع.
ـ ليس موعداً. مجرد عشاء مع صديق.
حسناً، إنه يريد أن يكونا صديقين، فهل بمكنها أن تتقبل هذه الفكرة؟ لسبب ما، «ماثيو» و«كيفين» ليسا من صنف واحد.
ـ هيا، نحن بحاجة إلى أن نأكل. ماذا لو قصدنا مكاناً جميلاً وتناولنا عشاءً هادئاً. وسأعيدك إلى البيت قبل العاشرة.
فضحكت: «جعلتني أشعر وكأنني في المدرسة الثانوية».
ـ لا يمكن أن تكوني قد تركتها منذ وقت طويل.
إنه يظنها أصغر من سنها الحقيقي! فتحت فمها لتخبره أنها تعيل نفسها منذ ثماني سنوات، ثم عادت فأطبقته. لا يمكنها أن تعترف بذلك، فيصبح سجلها مماثلاً لسجل عمتها العملي. سيدرك الحقيقة على الفور. وقالت: «أطول مما تظن».
ـ يمكنك أن تخبريني ذلك أثناء العشاء.
تنهدت وردّت: «أنت شديد الإلحاح. لا بأس. ماذا عن يوم الأربعاء؟».
ـ هل نذهب إلى مطعم أم نتناول العشاء في شقتك؟
ـ ظننت أننا سنتناول العشاء في الخارج.
ـ تذكرت ما عرضته عليّ، أي وجبة منزلية.

www.elromancia.com

ـ لم أعرض عليك ذلك قط!

ـ هممم. . . أقسم على ذلك.

ـ لا بأس، حسناً. العشاء عندي. ولكن ليس قبل السابعة.

وليساعدها الله إذا ما اضطرت إلى التأخر في العمل تلك الليلة.

ـ ماذا ستطبخين؟

ـ ربما سأحضر طعاماً جاهزاً.

ـ كنت متشوقاً لوجبة محضّرة في المنزل.

ـ الناس الذين يدعون أنفسهم إلى بيوت الآخرين لا يحق لهم الاختيار.

ـ تباً! كنت أتوقع وجبة طعام من تلك التي تأكلها الأسر.

شعرت بنفسها تذوب. ذلك الصوت الجذّاب يؤثر عليها بشكل غريب. إذا تابع حديثه بهذا الشكل، فستعده بأي شيء يريده.

ـ لا بأس. سأحضر عصيدة اللحم والسمك. ما رأيك؟ مع صلصة جدتي وخبز فرنسي وسلطة.

ـ وأنا سأحضر معي حلوى.

هل هذا هو السبب الوحيد الذي جعله يتصل؟ لم تشأ أن ينهي المكالمة. وإذ أرادت أن يستمر الحديث طرقت أول موضوع خطر في بالها: «أخبرني عن كوخك. هل سيعجب عمتي؟».

ـ إنه ريفي، مبنيّ من قطع ضخمة من الحطب. لكنه فسيح، ويقع على ضفة النهر مباشرة. لذا، فالوصول إليه سهل للغاية بواسطة الطائرة. وفي إحدى غرف الطابق السفلي لدي مكتب يشبه مكتبي في «كنسنجر» إلى حد كبير. وهو مجهّز بالمعدات ووسائل الإتصالات نفسها.

ـ إمممم. . .

ـ ما معنى هذا؟

ـ إذا كان لديك كوخ خشبي تنسحب إليه من ضغط العمل اليومي المحموم، فآخر ما تريده هو أن تعمل.

ـ لكن الجو هناك يوفر انسجاماً للعمل، أما الهرب فإلى البراري.

ـ إذن، أخبرني المزيد عن مغامرات البراري.

طلبت منه ذلك وقد استندت إلى الخلف وأغمضت عينيها لتستمع إليه يحدثها عن آخر رحلة قام بها. كان بإمكانها أن تتصور دخوله تلك المناطق المقفرة. وتمنت لو تراه يجول في الغابة، يشعل ناراً ليطبخ ويتدفأ، ويحمي نفسه في البراري. لكن كل هذا لم يبدُ لها سهلاً.

وما لبث أن أدركت أنهما أمضيا حوالى ساعة وهما يتحدثان هاتفياً. لقد مرّ الوقت بسرعة.

قالت كارهة: «عليّ أن أذهب».

لقد تأخر الوقت ولم تتناول عشاءها بعد.

ـ سأراك يوم الأربعاء.

وضعت السماعة وهي تتساءل إن كان سيتصل من الآن وحتى موعد العشاء. لم تكن تمانع في أن تتحدث إليه مرة أخرى قبل الموعد. وإذا بها تحدّث نفسها ضاحكة بأنها ستكلّمه من دون شك غداً في الساعة الثامنة.

في الصباح التالي، كانت «كارلا» منهكة ومتوترة. فهي لم تجد عذراً مقنعاً تتجنب به رحلة عطلة نهاية الأسبوع مع «ماثيو»، كما أنّ موعدهما على العشاء يثير أعصابها. كيف ستتمكن من التركيز على العمل وكل هذه الأمور تحدث من حولها؟.

* * *

في السابعة من مساء الأربعاء، دق جرس الباب في شقة «كارلا». تنفست بعمق وتوجّهت إلى الباب لتفتحه. كانت ترتدي بنطلوناً أسود ضيقاً، وبلوزة حريرية زرقاء، وقد زيّنت وجهها فيما سرّحت شعرها فبدا كالحرير. شعرت بأنها على أتم استعداد لكن قلبها راح يتخبّط بين ضلوعها. كانت تعلم أنها تعبث. ابتلعت ريقها بصعوبة ورسمت على وجهها ابتسامة مشرقة ثم فتحت الباب.

قالت تحييه وقد اتسعت عيناها: «أراك أبكرت في الحضور».

www.elromancia.com

بدا رائعاً بعد أن غيّر ثياب العمل، وارتدى قميصاً أبيض مفتوحاً عند العنق، وسترة رياضية تبرز عرض كتفيه. أما الابتسامة التي حيّاها بها فأعادت الوهن إلى ساقيها. ازداد خفقان قلبها واضطرب ذهنها. كيف يبدو مختلفاً إلى هذا الحد عن ذلك الرئيس الصارم. فهذا التغيير البسيط في ملابسه فعل الأعاجيب.

ناولها علبة الحلوى: «قلت لك إنني سأحضر الحلوى. تبدين جميلة».

ـ شكراً.

نظر إلى الشقة ثم إلى «كارلا». فتنحّت جانباً لكي يدخل: «آه، تفضل».

دخل إلى الشقة وهو يتلفت حوله، وانتظر إلى أن أغلقت الباب: «إنها تلائمك. كنت أتساءل كيف يبدو أثاث شقتك. طابعها الريفي مدهش، وتبدو دافئة ومريحة».

ـ تعال إلى المطبخ حتى أنهي إعداد العشاء. ويمكنك أن تخبرني عن نهارك.

فتحت زجاجة مرطبات وسكبت كأساً لكل منهما، فاستند «ماثيو» إلى المنضدة حيث تعمل، وأصبح من القرب منها بحيث لم تعد تشعر بالارتياح. وراحت تتساءل عما إذا كانت دعوته إلى المطبخ فكرة جيدة. رشفت شرابها ثم عادت إلى تقطيع الخضار للسلطة، فيما أجاب: «أفضل أن تخبريني أنت عن نهارك».

نظرت إليه، فتشابكت نظراتها بنظراته الحادّة: «كان ممتازاً».

فسألها بفضول: «أنت كتومة جداً بالنسبة لأمور حياتك؟»

ـ أنا لست كذلك، أنا كتاب مفتوح.

ـ أخبريني إذن عن أمر فعلته اليوم.

توقفت عن العمل فجأة، راجية أن ينزل عليها الإلهام. ثم عادت إلى الخضار وردّت: «صديقتي المقرّبة أنجبت طفلاً اليوم، فاتصلت بي

وتركت لي خبراً على المجيب الآلي».

كانت «باث» قد تركت رسالة طويلة تقول فيها إنها أرادت أن تتصل بها في عملها، لكنها لم تجرؤ. وعندما أجابت «كارلا» على هذه المكالمة، أمضتا نصف ساعة وهما تتحدثان بحماسة عن طفلتها الجديدة. وقد خططت كارلا لزيارتها مساء الجمعة. . . بعد أن تعود «باث» وطفلتها إلى البيت.

نظرت إليه ضاحكة: «لعله أمر لا تحب أن تتحدث عنه، أليس كذلك؟ فأنت لا يهمك الزواج مطلقاً. لكن صديقتي وزوجها مجنونان ببعضهما البعض، وقد ابتهجا للغاية لمولد أول طفل لهما».

ـ على البعض أن يعمل لاستمرار الجنس البشري.

فضحكت: «إعترف. أنت لست قاسي القلب كما تحب أن تدّعي. ألا تحب الأطفال؟».

ـ لم أعش معهم قط.

ـ وأنا أيضاً. على الأقل ليس كثيراً. لكن الأطفال القليلين الذين عرفتهم كانوا رائعين.

ـ وهل جعلك ذلك تتمنين الزواج؟

فهزّت رأسها: «لديك فكرة سيئة عن النساء. فنحن لا نمضي كل دقيقة من حياتنا في التفكير في الزواج».

لمعت عيناه بالمرح وهو يمدّ يده ليزيح عن وجهها خصلة شعر شاردة فحبست أنفاسها، لأن لمسته أشبه بتيار كهربائي مسّها.

* * *

راحت أصابع «ماثيو» تعبث بشعرها الناعم كالحرير. سمع تنفّسها الحادّ فكاد يبتسم، وقد أعجبه اضطرابها. إن تأثيرها عليه مماثل، ولامست أصابعه خديها. كانت بشرتها ناعمة ودافئة قليلاً. إنها جميلة. وبفضل عمتها، يعلم الآن كيف سيكون مظهرها بعد عشرين أو ثلاثين سنة.

أدهشته هذه الفكرة فأنزل يده واتكأ إلى المنضدة وأخذ يتأملها. لم يحدث قط أن فكّر في مظهر امرأة ما بعد عشرين أو ثلاثين عاماً. هل مارست عليه نوعاً من السحر؟ لم يكن يتطلع إلى علاقة دائمة، بل لطالما بحث عن مواعيد عرضية، وأوقات ممتعة سرعان ما تنتهي ليفتش هو عن رفيقة أخرى. كما أنه لن يكون موجوداً بعد عشرين عاماً لكي يهتم بشكل «كارلا» وهي تكبر في السن.

وفتحت درجاً: «خذ».

ناولته الشوك والسكاكين وأضافت: «يمكنك أن تعدّ المائدة ريثما أضع السمك واللحم على النار. سيصبح الطعام جاهزاً بعد قليل ومن الأفضل أن يقدّم ساخناً».

حمل أدوات المائدة واتجه إلى الطاولة في غرفة الجلوس وقد سرّه أن يقوم بعمل يصرف ذهنه عن المستقبل مع «كارلا». فهذه الأفكار تثير فيه الاضطراب. إنه يعيش حياته كما يريد بالضبط، وتعقّدها بسبب امرأة هو أمر لم يحسب له حساباً.

أعدّ المائدة ثم أخذ يتأمل المنظر الذي تطل عليه نافذتها. لم يكن جميلاً تماماً، مجرد أبنية أخرى ولمحة من السماء. لكنه توقع أن يبدو جميلاً في الليل عند اشتعال الأضواء.

عندما يجد شقة دائمة له، سيحرص على أن تطل على الخليج. وتصوّر للحظة شقة فسيحة تطل على مناظر أخاذة. سيؤثثها ويزينها ليجعلها تبدو في آخر النهار دافئة ومريحة مثل شقة «كارلا».

ابتعد عن النافذة وترك أحلام اليقظة الحمقاء. فهو لا يهتم بسحر الريف بل يحب الحياة العصرية المرفّهة، والأثاث المصنوع من الزجاج والجلد والمعدن. نظر حوله، ولم يستطع أن يمنع نفسه من المقارنة بين شقته في «تورنتو» وشقة «كارلا». لكنه رفض أن يعترف أن شقتها أعجبته أكثر بمظهرها المريح.

على أيّ حال، كان العمل يستحوذ، عادة، على اهتمامه كله. ولم

يكن يمضي في بيته الكثير من الوقت إلا إذا كان الهدف هو العمل أيضاً. ولكن، هل سيبقى الوضع على حاله لو كانت الشقة جذّابة كشقة «كارلا»؟ و«كارلا» موجودة فيها كل ليلة؟

هذا ما حدثه به صوت في داخله، قبل أن تدخل «كارلا» الغرفة حاملة طبقاً عميقاً فيه أزهار الربيع المتألقة لتضعه وسط المائدة الصغيرة. أمالت برأسها جانباً وكأنها تتأمل تأثيرها، ثم ابتسمت له بهدوء: «أنا أعشق الأزهار. وأنت؟ هل تحبها؟ حصلت عليها من بائع في الشارع. أظنها تضفي على المكان إشراقاً».

فقال ببطء وهو يمد يده ويجذبها إليه: «أنت تجعلينه مشرقاً». سيهتم بأفكاره هذه فيما بعد. أما الآن فهو يريد أن يعانقها.

* * *

٥ ـ حلم الغد

وكأنما كانت بانتظار عناقه، فارتمت بين ذراعيه وطوّقت عنقه وكتفيه بذراعيها الدافئتين.

زاد ماثيو من ضغط ذراعيه عليها، وهو يتساءل عما إذا كان سيظل قادراً على التحكّم بنفسه وبمشاعره. أدرك من تجاوبها معه، أنّ مشاعرها هي أيضاً خرجت عن السيطرة.

لطالما سخر من الكلام الشاعري الرومنسي. ولكن ثمة شعور ناعم عذب ظهر مع الأحاسيس المحمومة التي تفجرت فجأة بينهما... شعور هو وليد جوّ البراءة الذي يحيط بها. وفجأة، استرعى انتباهه صوت غامض، بينما انتزعت «كارلا» نفسها من بين ذراعيه وصرخت: «أووو... العصيدة».

وهرعت إلى المطبخ، فيما حاول هو أن يتحكم في مشاعره. على ضوء شعوره هذا، يمكنهما أن ينسيا العشاء ويكتفيا بالحلوى.

انتظر حتى تمكّن من السيطرة على نفسه وأحاسيسه ثم لحق بها إلى المطبخ. سكبت «كارلا» العصيدة في طبقين مركزة اهتمامها على مهمتها هذه وكأنها أهم نقطة في قضية السلام العالمي.

كان شعرها القصير جذاباً. كان يحب الشعر الطويل، لكن رقبتها القوية جذابة.

قالت «كارلا» ببشاشة: «إنه جاهز».

عندما رأى العشاء شعر بهزيمة مؤقتة، فأومأ متخلياً عن فكرة العناق... حالياً: «أتريدين مزيداً من العصير؟».

ـ نعم، من فضلك.

أراد أن يعرف المزيد عنها. ما هي الأفلام المفضلة لديها؟ وهل هي معجبة بنجم سينمائي معين؟ هل تحب أن تقرأ؟ أو تستمع إلى الموسيقى؟ ما هي طريقتها المفضلة لقضاء عصر يوم الأحد؟

لم يكن العشاء مربكاً كما خشي بعد ذاك العناق. كانت أكثر انفتاحاً وإقبالاً عليه مما عهدها منذ تعرف عليها. طرح عليها الأسئلة التي تهمه فأجابت عن طيب خاطر. عرف الأفلام التي تحبها، وأخبرته عن عطلات أسرتها عند بحيرة «أوكاناغان»، وعن الكتب والروايات البوليسية التي تحب قراءتها، وموسيقى الجاز الناعمة التي تحب سماعها. وسرّه أن يعلم أنها تحب أفلام المغامرات. حبها للروايات العاطفية صدمه، وأخذت تغيظه قائلة إنها تعلم أنه لا يحب تلك الروايات، لأنها تحتوي على كلمتي حب وزواج.

ومرة أخرى، شعر «ماثيو» وكأنه في بيته مع امرأة عرفها حديثاً. وذكرته تصرفاتها بشعوره وهو برفقة عمتها. ثمة هالة تحيط بنساء أسرة جونز تريح الرجل، وتشعره بالطمأنينة. لعل السبب هو إدراكه أن أياً منهما لا تفكر فيه كزوج.

قالت: «جاء دورك، فقد تكلمت أنا من دون انقطاع. أخبرني عن المادة التي كنت تفضلها في الجامعة».

تردّد لحظة، ثم أومأ. لم يطرح عليه أحد من قبل مثل هذا السؤال وأجاب: «الأدب الإنكليزي».

طرفت بعينيها: «أحقاً؟ ما كان هذا ليخطر لي».

ـ كنت أتابع سلسلة من المحاضرات كل عام. لكني وجدت قراءة أعمال الكتّاب والأدباء القدماء فرصة للاستراحة من الرياضيات وإدارة الأعمال. وهي طريقة للانتقال الى عالم مختلف عن العالم الذي نعيش فيه.

فقالت وهي تبتسم ببطء: «أنت شاعري، إنما نظرياً».

أضافت الجملة الأخيرة بسرعة فهز رأسه، متسلياً بدعابتها.

ـ أراهن على أنك تصورت نفسك «سيدني كارلتن» وهو ينقذ صديقاً. أو «توم جونز» خارجاً لقضاء وقت ممتع.

فاعترف كارهاً: «بل أتصور نفسي «سكارليت بيمبرنل»».

ـ أكان هذا ضمن المنهاج الدراسي؟ أستاذك كان أيضاً شاعرياً؟

ـ مفخرة أخرى ومغامرة كبرى.

تأملته بعينين ضيقتين: «نعم. يمكنني أن أراك «كسكارليت بيمبرنل»، متباهياً، جاهزاً للمغامرة... مجازفاً بحياتك في سبيل هدف ما».

ـ ربما ليس إلى هذا الحد.

ـ ألا تجازف بحياتك في رحلاتك إلى البراري؟

هز رأسه. فعادت تقول: «ماذا يحدث لو مرضت، أو هاجمك دب، وأنت بعيد عن العون أميالاً، وعن أي إتصال بإنسان؟ ربما تُقتل من دون أن يعرف أحد ما حدث لك أبداً».

فقال برقّة: «ما من أحد يهتم بما يحدث لي».

حملقت «كارلا» فيه، فرأى في عينيها صدمة سرعان ما تحوّلت إلى حنان بالغ. ثم قالت: «أنا سأهتم».

صدمته هاتان الكلمتان. لقد عاش وحده طويلا، ولم يظن أنه سيسمع أحداً يقول ذلك.

ـ أنا أحرص دوماً على أن أعود سالماً.

ـ مثلما كان «سكارليت بيمبرنل» يفعل دوماً. ولكن لا تنسى أنه كان دوماً يحصل على العون من امرأة طيبة في النهاية.

ـ وهكذا ستأتين لإنقاذي؟

نضحكت: «لا، إلا إذا وقعت في ورطة في مكان ما من حديقة «ستانلي بارك» العامة، فهي أكثر الأماكن التي أعرفها قفراً».

ـ عليك أن توسّعي آفاقك. ما رأيك في أن تمضي نهاية الأسبوع معي في جزيرة «هنلي» حيث يمكننا أن تتدرب على كيفية البقاء على قيد

الحياة، من ضمن أمور أخرى.

فتنته بموجة الإحمرار التي كست خديها. لا يمكن أن تكون بهذه السذاجة التي تظهر عليها أحياناً. ما من إمرأة عصرية تعيش في مثل هذه المدينة العالمية، تبقى بريئة وهي تقارب منتصف العشرين من العمر. ولكن هذا لا يهم. هو نفسه، ليس من دون خبرة، فلماذا ينبغي أن تكون رفيقته كذلك؟ لكنه، في لحظة اندفاع، تمنى لو أنها فعلاً بالبراءة التي تبدو عليها.

* * *

هزّها قوله هذا بعنف. فهي تعرف ما يتبع قضاء عطلة نهاية الأسبوع مع رجل. أتراه جاداً؟ إنها تعشق قضاء بعض الوقت مع «ماثيو»،.. سواء في العمل أو خارجه. لكنها تعرفه منذ مدة ليست طويلة، وهذا يمثّل خطوة كبيرة بالنسبة إليها.

هذا قرار عليها أن تفكر فيه بحذر. لم تكن تريد أن تتألم، أو تتورط بحماقة في أمر يخرج عن سيطرتها.

ـ هل الذهاب إلى جزيرة «هنلي» يعني طهو الطعام على نار المخيّم؟

ـ في الكوخ مطبخ.

ـ ومن يطبخ؟

ـ بعد هذه الوجبة، سأقول إنك أنت الشخص الذي سيطهو. فهي لذيذة.

ـ أنا سعيدة لأنها أعجبتك، ولكن...

وغضّنت أنفها: «لست واثقة من أن ما أعرفه من وجبات يكفي لعطلة الأسبوع».

سرّها أن يطلب المزيد من الطعام، وأن يستمتع به.

ـ ألا تطهين عشاءك كل ليلة؟

ـ وجودي وحدي لا يستحق كل هذا.

ـ لكننا سنكون معاً في الكوخ.

أخذت رشفة من العصير وسألته: «إذن، ما من سبب يمنعنا من تحمّل المسؤولية معاً، أليس كذلك؟».

ـ ربما خبرتي بالطهي أقل من خبرتك.

ـ إذن، ثمة أشياء يمكنني أن أعلمك إياها. أليس كذلك؟

وتعلقت عيناها بعينيه بمكر، فقهقه عالياً، فيما أشرق وجهها بالابتسام، وقد سرّها هذا الحديث. وتمنت لو يمضيان مزيداً من الوقت معاً.

إذا تحققت هذه الأمنية، فعليها أن تقرر إلى أيّ حدّ تريد لهذه العلاقة أن تنجح، على ضوء قاعدته «٢٥-٥٠»، وعقدة الزواج لديه. وعلى ضوء تنكّرها في العمل أيضاً. أرخت هذه الفكرة بظل من الكآبة على السهرة، وبدّدت بعض شعورها بالمتعة.

سألته وهي تخلي المائدة: «أتريد حلوى؟».

ـ هذا يعتمد على ما تقترحينه.

علمت أنه يعتمد إغاظتها. إنه مختلف جداً عمّن عرفتهم من الرجال، فغزله يبقيها مستنفرة على الدوام. وعشقت كل لحظة تمضيها معه. قالت وهي تنهض وتمد يدها إلى صحنه الفارغ: «مهلبية بالشوكولا».

لكنه أمسك بمعصمها وسألها: «ماذا لو أردت شيئاً مختلفاً؟».

توقف قلبها عن الخفقان: «لديّ مربى إذا شئت».

لكنها تعلم ما يعنيه، ولا علاقة له بالمربى.

بمكنه حتماً سماع دقات قلبها. فصوت اندفاع الدم في عروقها أشبه بصوت شلاّل. واشتبكت أعينهما... وتساءلت إن قرأ في عينيها حقيقة أحاسيسها. أحسّت أن أحدهما سيتصرف بجنون، وقد لا يكون هو! لكن شيئاً من الحذر جعلها تتردّد. كان في قدرة «ماثيو» على السيطرة على نفسه، ما يثير الضيق. ويبدو أنها الوحيدة التي ستفقد سيطرتها على نفسها حين يعانقها. ولكن، يا لها من خسارة!

ـ ألا تحب المهلبية بالشوكولا؟

شدّد قبضته على معصمها قليلاً، ثم تركه ونهض واقفاً وأخذ صحنه: «بل أعشقها».

ـ إجلس وسأنظف أنا المائدة وأحضر لك الحلوى.

ـ أريد فقط أن أريك مدى نجاحنا إذا ذهبنا إلى الكوخ. رغم أن الحلوى ستكون مختلفة.

كانت تعلم بالضبط أي نوع من الحلوى يقصد.

وعندما أنهيا تناول الحلوى والقهوة في غرفة الجلوس، كانت أعصاب «كارلا» منهكة. كانت تعلم أنها تلعب بالنار... لكنه يجذبها كما يجذب اللهب الفراشة... كل ما في «ماثيو» يجذبها. من تغضّن عينيه كلما ابتسم، إلى قوة عضلاته حين يحتضنها، إلى روح الفكاهة لديه والتي نادراً ما يظهرها. مرّ الوقت بسرعة وتأخر، لكنها ودّت لو أنّ السهرة لا تنتهي.

لو كانت تتمتع بذرة من التعقّل، لأرسلت «ماثيو» في حال سبيله على ألاّ تراه بعدئذٍ أبداً خارج المكتب. لكنها لم تستطع أن تقاوم سحر البقاء معه مزيداً من الوقت. إذا طلب منها الخروج معه مرة أخرى، فستلقي بالحذر جانباً وتوافق. لم تشك في أنّ هذا اللهيب الخفي الذي يستمر يشكّل خطراً.

نظر إلى ساعته: «تأخر الوقت... ولدينا عمل صباح غد. عليّ أن أذهب».

تملّكت «كارلا» خيبة الأمل.

قال وهما يسيران معاً إلى الباب: «لقد استمتعت بهذه الأمسية يا «كارلا». شكراً على هذه الدعوة، ولن أرفض دعوة أخرى. وفي الوقت نفسه سأقدّم لك دعوة رسمية. مساء الأربعاء القادم؟ يمكننا أن نجد مطعماً يعزفون فيه الموسيقى لنتمكّن من الرقص. إني بحاجة لهذه العطلة الأسبوعية لمتابعة العمل في الإتفاقية التي نحاول أن نعقدها».

فقالت كسباً للوقت: «سأراجع مفكرتي وأخبرك».

الأربعاء القادم؟ إنه بعيد جداً. لكن هل هي مستعدة لقضاء أمسية أخرى مع «ماثيو»؟ على الأقل في مكان عام كالمطعم، يمكنها أن تسيطر على نفسها فلا تستسلم للإغراء.

وعند الباب لامس خدها: «سأحضر لك مفكرة جيب وبهذا تكون معك على الدوام. إذا كان لديك ما يشغلك ولا تستطيعين تذكره فهذا يعني أنه ليس مهماً».

ـ أنا لا أخرج عادة خلال الأسبوع، فأنا امرأة عاملة كما تعلم.

ـ إذن، لن نتأخر في الخارج. أخرجي معي لتناول العشاء.

وأخذها بين ذراعيه ثم عانقها بمشاعر محمومة كانت تجيش في داخله طوال السهرة. وتخلت «كارلا» عن محاولة كبت عواطفها وأخذت تبادله العناق بمشاعر متّقدة. لم تعد تستطيع التفكير وهي بين ذراعيه.

وتمتم في أذنها: «نحنِ منجذبان نحو بعضنا البعض. وليس لدينا أي علاقات أخرى، كما لا نتطلع إلى علاقة أبديّة. عشاء بين صديقين أو ربما رقصة أو رقصتين. أحب أن أحتضنك وأدور بك على وقع الموسيقى. قولي إنك ستأتين».

خطر لها على الفور أنها تفضل التزاماً ومستقبلاً معاً. لكنه كان يتحدث عن دعوة إلى العشاء، وفرصة لقضاء بعض الوقت معه. فكيف يمكنها أن ترفض؟

قال لها وهو يستقيم في وقفته: «سأتصل بك. شكراً مرة أخرى على العشاء».

وداعب وجنتها بخفة ثم استدار وخرج.

أخذت تنظر إليه وهو يسير إلى المصعد. وعندما انغلق الباب خلفه، استدارت ببطء ودخلت شقتها وهي تتنهد. تمنت لو أنها تعرف كيف تتصرف مع هذا الرجل الذي يثير فيها الاضطراب. لقد أوضح لها أنه لا يتطلع إلى علاقة طويلة. وتساءلت عما إذا كانت صديقتها «بات» على

حق، وعندما يأتي «الرجل المناسب»، ستنسى احتجاجاتها كلها وكلامها عن المهنة قبل الزواج. «الرجل المناسب»؟ «ماثيو غرافيلين»؟ وهزت رأسها. عندما تقع في الحب، ستختار رجلاً يبادلها مشاعرها، وليس رجلاً يظهر مرة ثم يختفي بعد ذلك إلى الأبد.

لكن، وفيما هي تغسل الأطباق، أخذت تتساءل عما إذا كان الوقت قد فات على مثل هذا الحذر. وخشيت أن تكون قد وقعت في حبه إلى الأبد.

حان الوقت لوضع حد لكل هذا. لا رقص. . . لا بأس بالعشاء. . . ولكن من دون رقص حتماً!

وقبيل ظهر يوم الخميس، أخذت «كارلا» تتساءل عما إذا تخيلته يقول إنه سيدعو عمتها لقضاء عطلة نهاية الأسبوع في كوخه للعمل. لكنه لم يأت على ذكر ذلك هذا الصباح. هل يتوقع أن يفاجئها بالخبر عند مغادرتها العمل مساء يوم الجمعة؟

ارتدت ثيابها هذا الصباح بعناية، لتناول الغداء مع السيد والسيدة «تايلر». فمركزها في شركة «كنسنجر الكترونيك» عزلها عن معظم الموظفين، ولهذا لم تكن تخشى أن تكشف تنكرها امرأة. لكن السيدة «تايلر» ستمضي حوالى ساعتين يقربها. فهل ستكشف المرأة حقيقة الماكياج وتتساءل عما يدعوها إلى التنكر؟

وعندما اقتربت ساعة الغداء، تساءلت «كارلا» عما إذا كان بإمكانها التظاهر بأن لديها صداعاً لتعتذر عن تناول الغداء معهم. لا يمكنها أن تغامر بانكشاف أمرها، خصوصاً أمام أهم زبون مُرتقب لهم. ومع ذلك، لم تستطع أن تحمل نفسها على أن تتراجع وتترك «ماثيو» عند الشدة. إنها امرأة كفوءة. وإذا لاحظت السيدة «تايلر» أيّ شيء، فيمكنها أن تشرح لها الأمر بهدوء وتطلب منها السكوت.

وإذا بفكرة كئيبة أخرى تخطر لها عندما أخذت تراجع الملاحظات التي استخلصتها من تقرير «برسيل غروب». ينبغي عليها أن تحاول دعم

الشركة لا أن تتحدث عن وضعها الخاص. . . فكشف التنكّر يجعل «ماثيو» يبدو أحمق إذ لم يلاحظ تنكرها حين رآه، كما أن عليها ألاّ تقدم على أيّ تصرّف يعرّض للخطر علاقته بهؤلاء الزبائن المحتملين.

طلبت من الله التوفيق ثم ذهبت لتواجه الموقف بجرأة وصلابة. كانت متشوقة لرؤية «ماثيو» وهو يعمل، فهي تعلم أنه ماهر في تغيير سير الأمور. واليوم سترى بالضبط كيف يفعل ذلك. عليها أن تذكّر نفسها بضرورة التركيز على العمل. هذا الصباح، انتبهت مرتين إلى أنها تحدّق إليه، متذكرة عناقهما وأحاديثهما التي ضجت بالحيوية الليلة الماضية. ولحسن الحظ سارعت إلى النظر إلى العمل الذي بين يديها قبل أن يكتشف أن سكرتيرته الرصينة الناضجة الآنسة «جونز» تحلم به. حدثت نفسها بأن عليها أن تكون كفوءة ومنضبطة، وتنسى ذراعيه وهما تحتضنانها، وأصابعه وهما تلامسان خدها.

* * *

كان السيد والسيدة «تايلور» في المطعم عندما وصل «ماثيو» و«كارلا». قام «ماثيو» بمهمة التعارف، ثم جلس الجميع إلى مائدة خاصة، حيث امتد أمامهم منظر المدينة. كانت الإضاءة جيدة، فتنفست «كارلا» الصعداء آملة ألاّ ينكشف ماكياجها التنكري.

قال «ريتشارد تايلور» بحرارة: «إذن فقد استلمت شركة «كنسنجر الكترونيك» أيها الشاب؟»

فقالت زوجته وهي تتأمل قائمة الطعام: «حسناً يا عزيزي، طبعاً استلمها».

قال «ماثيو» ببساطة: «استلام المسؤولية، ونقلها في اتجاه جديد. وهو أمر أظن أنه يهمك أن تساعدني على المضي قدماً فيه».

فأجابه السيد «تايلور»: «ماذا؟ وكيف بإمكاني أن أساعدك؟».

ـ أنا بحاجة إلى معرفة الخطأ الذي حدث عندما كنا نتعامل معكم، وما هو الحلّ برأيكم؟ وماذا يمكن للشركة أن تفعل لتحافظ على التعامل

معكم؟ مالا أحب أن أقوم به هو أن أكرر الماضي. فكلنا نعلم إلى أين أوصل ذلك شركة «كنسنجر».

فقالت السيدة «تايلور»: «خطة جيدة جداً. غالباً ما تتغير إدارة شركة ما، من دون أن تتمكّن الإدارة من الحفاظ الجديد على المستوى الجيد الذي إعتاده الزبائن أو العملاء».

وردّ «ماثيو»: «كما أن السيد «مور» لم يماشِ العصر نوعاً ما».

نظرت السيدة «تايلور» إلى «كارلا» بمودّة: «وما هو موقفك في هذا كله؟».

فأجابت بهدوء: «أنا مساعدة السيد «غرافيلين» الخاصة».

فابتسمت السيدة «تايلور»: «أخبريني إذن عن طريقة إدارته للعمل».

نظرت «كارلا» إلى «ماثيو»، وعندما أومأ لها بشكل غير ملحوظ، شعرت أنها تستطيع أن تتكلم بحرية: «أراه صريحاً واضحاً. بدأت العمل معه لتوّي، لكن أرى أنه يأخذ وقته لجمع المعلومات قبل أن يتخذ قراره. وهو يدع الناس يقومون بأعمالهم، ولا يتدخّل في كل قرار يتخذه الآخرون. وإذا عمل مع موظفين متجاوبين وكفوئين، يعطيهم الفرصة لكي يتحملوا المسؤولية، ويقوموا بأعمالهم من دون أيّ تدخّل من قبله».

ـ وهل تظنين أنه قادر على أن يغيّر اتجاه الشركة؟

فردّت «كارلا» بحماسة: «نعم، وأسرع مما يظنه معظم الناس».

فقال «ماثيو» مازحاً: «لم أدفع لها أجراً لتقول عني كل هذا الكلام. أحد الأسباب التي جعلتني أدعو «جانيت» إلى الغداء معنا هو الاستفادة من نفاذ بصيرتها وعمق إدراكها. فهي ستعمل في هذا المشروع، وقد عاشت هنا طوال حياتها. وتعرف «ڤانكوڤر» وما قد نواجهه في معاملاتنا مع أيّ شركة أخرى قديمة. كما أنّ لديها خبرة في التجارة وأنا أقدر طاقتها وسعة اطلاعها».

فقال السيد «تايلور»: «معك حق، أيها الشاب».

ونظر إلى زوجته باسماً ثم تابع: «النساء يدرسن الموضوع من جوانب

لا نتنبّه لها دوماً. وأنا أستشير زوجتي في معظم قراراتي. إنها شريكة صامتة في الشركة، ولطالما كانت ذات فائدة كبرى.

غمز «ماثيو» «كارلا»، فقد سبق وعلما ذلك من سكرتيرة «تايلور».

قال «ريتشارد»: «سأخبرك عن معاملات شركتنا من قبل. ولن يعجبك معظمها».

ـ لكنني الشخص الذي بإمكانه أن يغيرها.

ـ هكذا إذن.

أطال «تايلور» الحديث عن المشاكل التي واجهها مع «كنسنجر». وناقشا هو و«ماثيو» أساليب العمل المختلفة. أخذت «كارلا» تراقب «ماثيو» وهو يجمع المعلومات التي يريدها. وبدا السرور على الزوجين لأن «ماثيو» يتقبَّل آراءهما بالترحيب والإعجاب. وفي نهاية الغداء، سألهما «ماثيو» عن إمكانية أن يجتمع بهما بشكل رسمي خلال الأسبوع القادم ليقدّم لهما عرضاً جديداً، فوافقا على الفور.

ودّع «ماثيو» و«كارلا» الزوجين أمام المطعم ثم نظرا إليهما وهما يصعدان إلى سيارة أجرة. وعندما ابتعدت السيارة، قال لكارلا: «ما رأيك يا آنسة جونز؟ أتحبين أن نعود إلى المكتب سيراً على الأقدام؟ إنه لا يبعد كثيراً والجو دافىء».

ـ لا بأس في ذلك. أظن أن اللقاء كان ناجحاً، أليس كذلك؟

ـ نعم، أكثر مما توقعت. قسم الشراء أقفل في وجهي أكثر من مرة. لو كنت مكانهما لما بقيت منفتحاً، ولأصبح التعامل معي صعباً، ولكن ما من شيء تقرر اليوم.

ـ لكنك فتحت الباب على أيّ حال.

ـ وأريد أن أنتقل إلى هذا المشروع بسرعة، فهو يمنح الشركة دفعة إلى الأمام. ليس على الصعيد المالي وحسب بل على مستوى المعنويات التي ترتفع مع كل اتفاقية مهمة جديدة.

ـ وهل المعنويات منخفضة؟

فهي لم ترَ أيّ دليل على التذمر أو انخفاض المعنويات. . . بل كانت تظنها مرتفعة حقاً. لكنها بالطبع، لم تمض الكثير من الوقت مع أيّ من موظفي الشركة، ولم تكن تراهم إلا عند دخولهم مكتب «ماثيو» أو خروجهم منه. فمسؤولياتها لم تكن تتيح لها الوقت لتثرثر مع بقية الموظفين.

ـ هذا لا يعني أنني لاحظت ذلك، ولكن شعوراً بالشك يسود عندما يستلم الأمور شخص جديد.

أومأت وهي تجاريه في خطواته الواسعة. وتذكرت نزهتهما على الشاطىء، وعناقه عندما أوصلها إلى بيتها بعد العشاء، والليلة الماضية. واكتسحتها موجة من الحرارة فتمنت لو تخبره كم تقدّر فرصة العمل معه. لكي تعرفه، تعرفه أكثر مما يظن.

انكمشت قليلاً، شاعرة بالذنب. ما كان لها أن تراه خارج العمل من دون أن تكون صادقة معه. ومع ذلك، سيطردها على الفور. وفي هذه المرحلة. . . إنها تريد أن تثبت له أن بإمكانها حقاً أن تكون ذات قيمة.

ولكن عندما بهت ضوء النهار قليلاً، تساءلت كيف ستتمكّن من أن تكيّف ظروفها لكي تسرع بإخباره. ربما إذا أصبح لديها خطة حاسمة ووقت محدد لذلك، سيتبدد شعورها بالذنب.

ـ تبدين عابسة. هل من مشكلة؟

ـ لا، أحاول فقط أن أتذكر ما عليّ أن أفعله بعد الظهر.

ـ عندما نعود، استدعي «هندرسن» ليزوّدنا بالسجلات التي تتعلق «ببرسيل غروب»، واستدعي «مايرز» ليراجع تقريره أيضاً. سأعقد اجتماعاً مع رؤساء الأقسام عند الساعة الثالثة، ستحضرينه أنت أيضاً. أطلبي منهم أن يحضَروا أفكاراً نستعيد بها ما خسرناه. ثم إجري مراجعة سريعة لنرى من خسرنا أيضاً في السنة أو السنتين الأخيرتين. سنرى إن كنا نستطيع وضع بعض الخطط لنستعيد «بيرسيل غروب» وغيرها.

لاح لهما المبنى حيث يعملان. وتمنت «كارلا» لو أن «ماثيو» يحدثها

لحظة واحدة عن غير العمل. ولكن لماذا يفعل ذلك؟ فبالنسبة إليه، «جانيت جونز» هي مساعدة خاصة ممتازة، ودقيقة في العمل، ولا تربطه بها أيّ رغبة أو افتتان.

وقف على الرصيف أمام الباب الزجاجي الضخم للمبنى وقال: «علينا أن ننهي هذا العمل أثناء العطلة الأسبوعية، فأنا أريد أن أعود بعرض للسيد «تايلور» في بداية الأسبوع القادم. فبالإضافة إلى اقتراحات التغيير، أريدهم أن يعلموا مدى سرعتي في التجاوب معهم. هل أنت مستعدة للعمل أثناء العطلة الأسبوعية؟».

ها هي قد أتت... الدعوة إلى الكوخ. وسألته: «هل ستعمل يوم السبت؟».

ـ والأحد أيضاً. سأحضر كل المعلومات التي أحتاجها من رؤساء الأقسام. نهار السبت يمكننا أن نطير إلى الكوخ حيث لا يزعجنا أحد. أريد أن أنهي هذا المشروع قبل يوم الإثنين، وأريد السرية التامة. أريدك أن تقومي أنت بالطباعة وليس «ليزا».

ـ ما من مشكلة.

ـ هذا أحسن.

أمسك الباب لها لتدخل الردهة أمامه، وهو يقول: «ذكّريني أن أخبر ابنة أخيك عن سبب آخر يجعلني أوظف سيدات ناضجات في السن».

ـ ماذا؟

فقال وهو يضغط زر المصعد: «كنا تحدثنا معاً عن سن الموظفات. وكان عليّ أن أضيف حسنة أخرى إلى حسنات الموظفة الأنضج سناً. فالعمل معهن لا يسبب التوتر أو يعرّض السمعة للخطر كما يفعل العمل مع سكرتيرة شابة».

فتملكتها الحيرة: «آه..».

ـ ما كنت لأستطيع أن أصطحب امرأة شابة معي لأمضي العطلة في العمل. فكّري في الإشاعات والأقاويل التي ستنتج عن ذلك.

ـ طبعاً.

وبما أن الكل يظنها قد تجاوزت الخمسين، فلن يثير ذهابها معه أيّ تعليق.

ولكن لم يصدّق الكلّ أنها في الخمسين. تذكرت ذلك وهي تصل إلى مكتبها، إذ وجدت على المكتب مغلفاً آخر يحمل اسمها مطبوعاً.

وضعت حقيبة يدها عليه وابتسمت «لماثيو»: «شكراً على الغداء. شعرت أنني تعلمت منه الكثير عن التخطيط».

أومأ وهو يقف عند باب مكتبه: «أقدّر لك الجواب الذي أعطيته للسيدة «تايلور» عن طريقتي في الإدارة. لكن أظن أنها استغرقت طويلاً لتفتح ذهنها وتستمع».

تمنت «كارلا» لو تستطيع الاستمتاع بتعليقه هذا، لكن ما إن دخل مكتبه، حتى فتحت المغلف.

(ماثيو غرافيلين» متشدد بشأن أعمار موظفيه. ماذا سيكون رأيه بعمرك؟ لن أكون الشخص الذي يخبره لقاء خدمة منك).

رباه، إنه ابتزاز! وأخذت تحدق إلى الورقة مذهولة. ما هي الخدمة التي يمكنها أن تؤديها لشخص ما؟

إذا ظنّ المرسل أنّ بإمكانه أن يرغمها على خيانة رب عملها، حتى وإن كان للاحتفاظ بوظيفتها، فهو لا يعرفها جيداً. عليها أن تجد كاتب هذه الرسالة لتوقفه عند حده دون التسبب بمشاكل. ولكن من أين تبدأ؟

إنها لا تريد أن ترحل. لكن، إذا رفضت هذا الابتزاز، فهل سيبقى لديها خيار آخر؟

* * *

اشترت «كارلا» بعض الملابس الجديدة مساء الخميس من أجل رحلتها إلى كوخ «ماثيو». وبدلاً من بنطلون الجينز والبنطلون الجلد الضيق اللذين تفضلهما، اشترت بنطلوناً قطنياً فضفاضاً وقمصاناً واسعة. كما اشترت قميص نوم قديم الطراز يغطيها من العنق إلى الكاحل، ليس

لأنها تتوقع اندلاع النار في منتصف الليل، ولكن لأنها لم تشأ أن تغامر.

وضعت في حقيبتها الصغيرة أدوات الماكياج التي تحتاجها للتنكر، آملة ألاّ ينكشف سرها. لقد عرض عليها أن يصطحبها من بيتها، لكن لن تدعه يأتي إلى شقة «كارلا» ليأخذ «جانيت»! وهكذا اتفقت معه على أن يلتقيا عند حوض السفن.

ومساء الجمعة، زارت «باث» وبقيت فترة طويلة تهدهد الطفلة ما أنساها الاضطراب الذي يعمّ حياتها والذي تسببت به لنفسها. احتضنت الطفلة فيما أيقظت فيها السعادة التي تشع من «باث» وزوجها، الحنين لأن يكون لها هي أيضاً أسرة.

قد ترزق بطفل صغير ذي عينين داكنتين تراقبانها بحدّة، أو طفلة صغيرة مثل طفلة «باث»، تتحكم بأبيها، وتجعله رهن إشارة من بنانها.

رفضت أن تعترف باسم والد هذين الولدين اللذين تتخيلهما... لكن وجه «ماثيو» كان يتراقص أمام عينيها.

* * *

٦ ـ وجهان لعملة واحدة

في الساعة السابعة من صباح السبت، سارت «كارلا» إلى حوض السفن. كانت تحمل حقيبتين صغيرتين، واحدة في كل يد. اختارت البنطلون الواسع التفصيل آملة أن يخفي قوامها. وفكرت بجفاء في أنها أصبحت ماهرة في التنكر، لكنها للأسف، مهارة لا يمكن أن تحتاجها في مهنتها في ما بعد.

قال «ماثيو» وهو ينزل من قمرة القيادة في الطائرة: «سريعة كالعادة».

كان يرتدي بنطلوناً داكناً وكنزة بيضاء لبسها في عطلة الأسبوع الماضي. لم يكن شعره مسرّحاً بأناقة كما هو في المكتب عادة، وتملكت «كارلا» تلك الرغبة المعتادة في أن تشعثه بأصابعها، فقط لتشعر بملمسه تحت يديها.

سيصدمه أن يرى سكرتيرته الرصينة تتصرف على هذا النحو. تملكها إغراء بالغ، للحظة.

سألها وهو يحمل حقيبتها: «ألم تركبي قط طائرة كهذه؟».

هزّت رأسها، ونظرت متردّدة إلى الطائرة وهي تتأرجح فوق الماء.

ـ ركوبها أكثر متعة من ركوب الطائرات التجارية. اقفزي.

ومد يده إليها يساعدها على الانتقال إلى الجسر العائم الذي يصل إلى الطائرة. اهتزت الطائرة قليلاً، لكن «ماثيو» سارع يساعدها على الوصول إلى قمرة القيادة.

اصطدم رأسها بالسقف المنخفض، فمدّت يديها على الفور تطمئن إلى ثبات الشعر المستعار الأبيض على رأسها، راجية أن يبدو كل شيء

www.romancia.com

طبيعياً. جلست وأخذت تنظر حولها باهتمام، فيما فك «ماثيو» حبال الإرساء، وقفز إلى مقعده، ثم أغلق الباب. بدا لها وكأن مساحة قمرة القيادة قد تقلصت. أخذت تنظر إليه وهو يضغط الأزرار، ثم سألته: «متى تعلمت الطيران؟».

فأجاب: «عندما تخرّجت من الجامعة. فالطيران هو أحد التحديات التي لم أستطع مقاومتها. ومع السنوات تبيّن لي نفعه».

فتمتمت وهي تضع الحزام: «لكي تستطيع الطيران إلى البراري».

فنظر إليها بحيرة: «صحيح. هل سبق وأخبرتك بذلك؟».

أومأت برأسها، شاعرة مرة أخرى بالخطر. فقد أخبرها بذلك، ولكن هل بصفتها «جانيت» أم «كارلا»؟

أخذت الأمور تختلط في ذهنها. كيف يمكنها أن تبقي المعلومات منظّمة ومصنّفة؟

أدار المحرك، وسرعان ما راحا يتزلقان على صفحة مياه مرفأ «كول هاربر». وقبل أن تعرف ما يجري، أقلعا وأخذا يحلقان في الجوّ وقد امتدت «فانكوفر» تحتهما وكأنها لعبة طفل صغير. افتتنت «كارلا» بهذا المشهد. لكن ذلك الشعور الرائع تبدد ما أن تعرضا لمطب هوائي: «آه! هل نحن بخير؟».

وتمسكت بذراعي مقعدها.

ـ بالتأكيد. ما من مشكلة.

ـ لقد عشت هنا طوال حياتك. أخبرني عما سنراه عندما نتجه شمالاً.

تمييزها المعالم من الجوّ كان أسهل مما ظنت. وسرّها أن تصرف أفكارها عن «ماثيو»، وإن كان هذا لا يعني أنها لا تشعر بوجوده في كل لحظة. كانت أصابعه طويلة وهو يتحكم في توازن الطائرة. وتذكرت شعورها وهو يلامس خدها بأصابعه تلك. كاد رأسه يحتكّ بالسقف، بينما تقاربت ساقاه. كان أطول منها، ولكن عندما يأخذها بين ذراعيه، يصبحان متلائمين تماماً. أدركت من التعبير الذي رأته على ملامحه أنه يعشق

الطيران. وإذا كان يمارس الطيران منذ خمسة عشر عاماً تقريباً، لا شك أنه بارع فيه، فهي تعلم أنه إذا بدأ أمراً ما وصل فيه حتى النهاية أيّ حتى النبوغ.

بعد ساعة، وعندما اقتربا من جزيرة «هنلي»، أشار إلى قرية صغيرة، يشتري منها ما يحتاجه من طعام وبقالة. ثم دار حول الجزيرة ليهبط بالطائرة على الماء برفق، حيث انزلق على سطحه ليرسو بنعومة في الخليج.

سألها وهما يقفان: «ما رأيك الآن؟»

فأجابت وعيناها تتألقان بهجة: «أجمل مما توقعت، أنا متشوّقة إلى رحلة العودة».

ربط حبال الإرساء ثم حمل الحقائب. مدّت يدها إلى حقيبتها، لكنه هز رأسه: «سأحملها».

ـ شكراً.

سلكا طريق المشاة متجهين إلى الكوخ المبني من الحطب.

عندما أخبرها عن الكوخ المبني من الحطب، تصورت أنه يشبه أكواخ الصيادين الأوائل. لكنه لم يكن يشبه الكوخ بشيء. فهو مكوّن من طابقين وله نوافذ عالية وشرفة تمتد على طول البيت، مشكّلةً فسحة واسعة للجلوس في الأمسيات الصيفية الدافئة. سألته وهي تصعد خلفه الدرجات وصولاً إلى الباب الأمامي: «هل تملك هذا البيت منذ وقت طويل؟».

وضع «ماثيو» الحقائب على الأرض ليفتح الباب: «الكوخ ليس لي. أنا أستعمله فقط. إنه لصديق سيغيب في أوروبا أشهراً عدة. وبهذه الطريقة، أستفيد أنا من استعماله وأحافظ عليه لحين حضور صاحبه».

كان البيت جميلاً من الداخل. الأثاث القديم الطراز أشعر «كارلا» بالدفء والترحيب على الفور. كان الباب يؤدي مباشرة إلى غرفة الجلوس، فسارت على الفور إلى النافذة البالغة الاتساع، فأحست وكأنها خارج المنزل.

استطاعت أن ترى البحر من خلال الأشجار، وقد بدا من الطائرة ذيلها فقط، فابتسمت واستدارت لتجد «ماثيو» واقفاً ينظر إليها. فقالت: «إنه رائع».

ـ أظن ذلك. إذا فكر «ستيف» في بيعه يوماً، فسأشتريه منه. غرف النوم في الطابق الأعلى. سأحمل الحقائب إليها. هل تريدين أن تشربي مرطبات أو ما شابه؟

ـ أريد فقط أن أنظم أغراضي ثم أستعد للعمل.

أرادت أن تتأكد من أن كل شيء على ما يرام. فهي لا تطيق أن يميل الشعر المستعار إلى جانب رأسها.

ـ ثمة غرفة في الناحية الخلفية جعلتها مكتباً، سنستعمله عندما تكونين جاهزة.

بعد ربع ساعة كانت «كارلا» جالسة أمام مكتب «ماثيو» الضخم. بدأ على الفور مهمة وضع خطة تغري شركة «بيرسيل غروب» بالتعامل معهم من جديد.

مرّ الوقت بسرعة وهما يعملان معاً. كان يطلب المعلومات وسرعان ما تجدها هي بين التقارير التي أحضراها. وعندما استند «ماثيو» إلى الخلف وسأل «كارلا» رأيها في أمر ما، أعطته رأياً ذكياً وسرّها أنه أعجبه. إدراجه رأيها في الخطة جعلها تشعر أنها عضو حقيقي في الفريق. فهي لم تشترك قط من قبل في وضع خطة استراتيجية، فاستمتعت بكل لحظة عملا فيها معاً بالرغم من سنها. ألقى الأوراق جانباً: «أنا جائع. وأنت؟».

قالت «يمكنني أن آكل».

نظرت حولها إلى رزم الورق التي دوّنت عليها ملاحظات، وسألته: «هل أطبع هذه الأوراق كلها عصر اليوم؟».

ـ فلنأخذ استراحة. لقد عملنا دون انقطاع، وقطعنا شوطاً أبعد مما لو كنا في المكتب. كيف حال طاقتك؟

ـ جيدة جداً. جلوسي طوال الصباح جعلني أرغب في السير قليلاً.

ـ أفكر في السير إلى المدينة وتناول الغداء في مقهى صغير هناك. الطعام جيد، وهي مناسبة لتري شيئاً من جزيرة «هنلي». لا يمكنني أن أجعلك تقطعين كل هذه المسافة إلى هنا لتري الكوخ وحده.

وفيما بدا كلامه مرحاً، لم تعد واثقة، بصفتها «جانيت»، كيف يُفترض بها أن تتصرف. وما لبثت أن قررت أن تكون طبيعية، فهزت كتفيها: «يعجبني هذا».

واستمتعت «كارلا»، فهي برفقة «ماثيو»، كما كان الغداء المتأخر الذي تناولاه لذيذاً. تناولت حساء محضّراً من السمك والبطاطا والبصل مع خبز فرنسي طازج، فيما تناول هو شطيرة فريدس. حدّثها أثناء الغداء عن تاريخ الجزيرة وعن سكّانها الأوائل الذين كانوا تجاراً روسيين تحطمت سفينتهم بفعل عاصفة، فجرفت الأمواج سفينتهم إلى شواطىء هذه الجزيرة. وبعد أن أنهيا الغداء ذهبا لرؤية بناء خشبي مهجور هو آخر الأبنية الباقية من المساكن الأوائل.

قالت كارلا: «أراهن على أنهم يتمنون لو أنهم لا يزالون هنا الآن».

وراحت تتساءل عما كانت لتشعر به لو أنها وجدت نفسها في مكان غريب مقفر من دون مال أو أصدقاء.

ـ لماذا؟

فقالت باسمة: «فكّر في الأرباح الطائلة التي سيجنونها من بيع الأراضي».

ضحك، فخفق قلب «كارلا». وخافت أن يستغرب تحديق سكرتيرته إليه، فحولت نظراتها بعيداً. لكن صورة بهجته انطبعت في نفسها، وشعرت بالنهار يزداد تألقاً.

لم يستغرق تجوالهما في المدينة الصغيرة وتعرّفهما على معالمها طويلاً. توقف «ماثيو» عند متجر صغير واشترى لحماً وبطاطا للعشاء. وأغاظته بكلامها عن نوع الطعام الوحيد الذي يحسن الرجال تحضيره. فقال: «لم أتعلم الطهي. هل تفضلين أن تطهي لنا وليمة؟».

ونظر إليها بأمل لكنها ضحكت وهزت رأسها: «لا، شكراً. أنا أعشق اللحمة والبطاطا».

عندما وصلا إلى الكوخ، دخل «ماثيو» إلى المطبخ ليضع مشترياته، فيما توجهت «كارلا» إلى المكتب. أمامها الكثير من أعمال الطباعة. يوم غد، سيكون العرض كاملاً تقريباً. أطل «ماثيو» برأسه من باب المكتب: «سأضع وقوداً في الطائرة وأختبر صيانتها. أتريدين شيئاً؟».

فتمتمت دون أن ترفع نظرها عن عملها: «لا. لديّ الكثير من العمل».

كان نصف اهتمامها موجهاً إليه والنصف الآخر إلى كيفية تحسين هذا العرض ليبدو أكثر أهمية. لطالما نسيت «كارلا» مرور الوقت أثناء العمل. كانت على صواب في السعي وراء هذه الوظيفة. فبعد مرور أسبوعين فقط، تشعر أنها تساهم في العمل وتتعلم الكثير. لا يهم حبها لرئيسها، لكنها تتمنى فقط لو تستطيع أن تزيل هذا الماكياج الثقيل عن وجهها وهذا الشعر المستعار عن رأسها! عليها أن تخبره في أقرب وقت، راجية أن تعجبه جرأتها في الحصول على ما تريده... فلا يطردها على الفور.

عندما سمعت رنين هاتفها الخليوي، لم تستوعب الأمر في البداية. ثم التفتت حولها، وعندما لم تر «ماثيو» فتحت حقيبة يدها.

ـ آلو؟

كان عليها أن تقفل الهاتف. ماذا لو جاء وهي تتحدث...

ـ «كارلا»؟

ـ نعم.

ـ كيف تمضين عطلتك الأسبوعية؟

ـ بأحسن حال.

أخذ قلبها يخفق، فنهضت وسارت إلى الباب تغلقه بحزم وسألته: «أين أنت؟».

كانت تعلم أنه لن يجيبها بالضبط بحيث تحدّد موقعه. لكنها لم تشأ

أن تجازف بأن يسمعها.

ـ أنا في الكوخ الخشبي. عملنا أنا وعمتك طوال النهار على وضع عرض لزبون جديد. كنت أفضّل لو بقيت في «ڤانكوڤر» لكي أراك.

سارت إلى النافذة وأخذت تنظر إلى المشاهد الجميلة. لا أثر له على الطريق المؤدية إلى الطائرة. وقالت: «ما أحسن هذا».

ـ هل هو حسن فقط؟

هل لهجته أكثر حميمية؟

ـ حسن جداً؟

ـ هذا أفضل. ماذا تفعلين اليوم؟

نظرت إلى المكتب، ثم استندت إلى الجدار: «أقوم ببعض الأعمال المنزلية».

ـ وماذا ستفعلين الليلة؟ هل لديك موعد؟

كان في لهجته خشونة أدركت أنها ليست من نسج خيالها: «لا. أفكر فقط في التسكع هنا وهناك وربما أعمل قليلاً».

ـ تعملين ماذا؟

ـ أشياء متفرقة. هل أعجب الكوخ عمتي؟

ـ نعم، أعجبها. وهي شخصية كفوءة ومفيدة للغاية. لم تضيّع وقتاً في الاستقرار. أخذنا فترة راحة، وسرنا إلى المدينة حيث تغدينا. ومنذ عودتنا وهي تطبع الملاحظات التي دوّناها هذا الصباح.

ـ هل هي مدينة كبيرة؟

كان من الصعب عليها أن تحدد ما تعرفه وما الذي من المفترض ألاّ تعرفه.

ـ لا. قطعنا المدينة من أحد طرفيها إلى الآخر في خمس دقائق تقريباً.

ـ إنها إذن مختلفة عن ڤانكوڤر؟

ـ سأصطحبك إلى هنا في إحدى العطلات الأسبوعية وترين هذا

بنفسك.

أخذت خفقات قلبها تتسارع. كان يتحدث مرة أخرى عن اصطحابها إلى هنا في عطلة أسبوعية... ليس للعمل كما هو حالها الآن، ولكن في موعد غرامي.

ـ سيكون هذا...

وأخذت تبحث عن كلمة معبّرة أكثر من كلمة «حسن» العادية الوقع.

ـ ما من حياة ليلية جذابة هنا على أيّ حال. وأنا مضطر إلى لفت انتباهك إلى هذا.

ـ أنا واثقة من أننا سنجد شيئاً نقوم به في المساء. ربما نشاهد التلفزيون؟

ـ ما من تلفزيون.

ـ يا لها من حياة خشنة.

ـ سنستمع إلى الموسيقى، ويمكننا دوماً أن نرقص. وسأرغب في أخذك بين ذراعي.

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تتصور نفسها بين ذراعيه يدور بها على أنغام الموسيقى، وقالت برقّة: «أنا أحب الرقص».

ـ مع الشخص المناسب.

فابتسمت. أتراها الشخص المناسب؟

ـ نحن صديقان، أليس كذلك؟

فقال: «صديقان حميمان».

أليس هذا ما أقسمت على ألاّ تفعله؟ ألاّ تتورط؟ لا يمكنها أن تلعب بالنار من دون أن تحترق. أتراها تفكر حقاً في قضاء عطلة الأسبوع مع رجل؟

ولكن لا... إنه ليس أيّ رجل... إنه «ماثيو»...

سألته وهي تحدق في الأشجار السامقة التي تمتد إلى البحر: «هل المكان مقفر؟ هل هي براري؟».

ـ لا. إنه ريف، وثمة ممرات وعرة. يمكننا أن نسير على شاطىء البحر. ثمة أشياء كثيرة يمكننا أن نقوم بها.

ـ هممم... ماذا تفعل إذن في العطلة الأسبوعية التي تعمل خلالها؟ كيف تقاوم إغراء الخروج؟

ـ الأمر ليس سهلاً. السير اليوم إلى المدينة مع عمتك كان ساراً. أتريدين أن تتحدثي إليها؟ يمكنها أن تخبرك بانطباعاتها.

كادت «كارلا» تصرخ. استدارت وركضت عائدة إلى مقعدها، فهي لا تريده أن يدخل ويراها تتحدث على الهاتف!

ـ لا، لا أريد أن أتحدث إليها. فهي لا تحب المقاطعة إذا كانت تعمل.

ـ حان الوقت لتأخذ استراحة.

إنها تسمعه الآن في الردهة.

ـ عليّ أن أذهب الآن. أسمع جرس الباب. إلى اللقاء.

ثم أقفلت الهاتف ودسته في جيبها. وعندما فتح الباب كانت يدها على لوحة الأزرار وعيناها على شاشة الكمبيوتر. تسارعت دقات قلبها حين رأت «ماثيو» يقف عند العتبة يحدق إلى الهاتف في يده وقد قطّب جبينه. أتراه سمع صوتها عبر الباب؟ وحاولت أن تبدو بريئة: «كيف حال الطائرة؟».

أنزل يده إلى جانبه ثم تقدّم إلى المكتب ووضع هاتفه فوقه.

ـ فحصتها وزوّدتها بالوقود. كيف حالك؟

ـ انتهيت تقريباً. لقد طبعت القسم الأول. أتريد أن تراجعه الآن؟

ـ أفضّل الانتظار حتى الصباح. الوقت مناسب لأخذ استراحة.

وبدا شارد الذهن وهو ينقل ملفّين ويضعهما جانباً.

ـ هل من خطب ما؟

شعرت بثقل هاتفها على ساقها. ابتلعت ريقها وهي ترجو أن يكون مخفياً تماماً في جيبها فلا يسقط.

www.elromancia.com

رفع بصره فتلاقت أعينهما: «أظنني لم أفكر في المسألة جيداً، إذ ما من شيء نفعله في المساء».

ـ أحضرت معي كتاباً. أنا لا أتوقع التسلية والترفيه هنا، يا سيد «غرافيلين».

كاد يبتسم وبدت التسلية في عينيه: «أنا مسرور لسماعي هذا، يا آنسة «جونز». لكنني لا أتوقع منك أن تنسحبي إلى غرفتك فور انتهاءك من العمل».

قالت وهي تعود إلى شاشة الكمبيوتر: «لا أمانع في النوم باكراً».

في الواقع، كانت متلهفة لغسل وجهها ورفع الشعر المستعار عن رأسها. فهي تشعر بحكة في رأسها كله، من فروة رأسها إلى خديها.

* * *

عندما أخذت، بعد ساعتين، تتأمل «ماثيو» وهو يعدّ العشاء، تساءلت كيف يمكنها أن تفتح موضوع الموظفين من الشباب؟ تعليقاته أثناء الحديث السابق أظهرت تحيّزه، واحتارت كيف تجعله يغيّر أفكاره. شعرت وكأنها حشرت نفسها في زاوية ولم يعد من السهل عليها الخروج منها. وقبل أن تتمكن من التفوّه بكلمة، سكب لها كأس عصير، وضعه على المنضدة حيث جلست على أحد المقاعد العالية: «معشرك سهل، يا «آنسة جونز»».

أدهشها تعليقه هذا: «شكراً... هل تحيط نفسك، عادة، بأشخاص معشرهم صعب؟».

هز رأسه وهو يرشف العصير من كأسه: «لا أقصد هذا. ولكن يبدو أن النساء الشابات يحببن الثرثرة لمجرد التسلية. لكن الصحبة الهادئة أمر هام».

رشفت شرابها وأومأت راجية أن تبدو حكيمة. فالتظاهر بشخصية متناقضة مع شخصيتها الحقيقية أمر شاق. ومع ذلك، لن يكون حديثها مع «ماثيو» مجرد ثرثرة. وسألته: «هل إضافة هذه التوابل إلى اللحم وصفة

تعلمتها من أسرتك؟».

ـ لا، ليست وصفة عائلية قديمة. فقد ماتت أمي وأنا صغير جداً، أما أبي فلم يكن خبيراً بالطهي.

قالت: «كان بإمكانك أن تتعلم».

وتساءلت عن نوع الطفولة التي عاشها. ما أفظع أن يفقد المرء أحد والديه في الطفولة، أو في أي وقت آخر. وصممت على أن تتصل بوالديها عندما تعود إلى بيتها، لتبقى على اتصال بجذورها.

ـ الطهو ليس مجال اهتمامي. والآن بعد أن نجحت في حياتي العملية، يمكنني أن أدفع ثمن طعامي.

ـ ألا تتعب من الأكل في المطاعم على الدوام؟

ـ نعم. في الواقع، دعتني ابنة أخيك إلى العشاء هذا الأسبوع. كانت وجبة بيتية لم أضطر إلى إعدادها بنفسي.

فقالت ببطء: «يبدو أنك مهتم بابنة أخي».

فقال وهو يراقب اللحم على النار: «هل يزعجك هذا؟».

ـ لا شأن لي بهذا. ظننت فقط...

ثم نبّهت نفسها إلى ضرورة أن تحاذر. فمن هي التي حدّثها عن المواعيد؟ «جانيت» أم «كارلا؟».

ـ ظننت ماذا؟

ـ أنك لا تهتم بعلاقات طويلة الأمد.

ـ وابنة أخيك لا تهتم بذلك أيضاً.

أومأت. لا يمكنها أن تخبره الآن أن وجودها قربه جعلها تتساءل عن صحة مفهومها هذا. ولعل هذا يتعلق بحياتها أكثر منه بعملها واستمراره. ورغم أنها غير قلقة حقاً من أن تغدو عانساً وهي في الثامنة والعشرين، إلا أنها، إذا لم تتزوج في السنوات العشر القادمة، فستبدأ بالقلق!

ـ أخبرني عن نشأتك في «أونتاريو». هل لك أقارب؟

طرحت سؤالها هذا وهي غير واثقة مما إذا كانت، بصفتها «جانيت»

تعرف الجواب.

ـ لا أقارب، ولا أسرة ما عدا أبي. وقد تركت البيت ما أن أصبحت في الثامنة عشرة من عمري.

ـ هل ما زال يعيش هناك؟

ـ لا. لقد توفي منذ عشر سنوات.

وحدّق «ماثيو» إلى كأسه فترة طويلة، ثم قال: «لم نكن على وفاق أبداً. كان يتعاطى الكحول بكثرة، وأظن أنّ هذا ما تسبب بوفاته في النهاية».

قالت وقد أحس قلبها الوحدة التي لا بد أنه كان يشعر بها: «آسفة لذلك».

لا عجب في أنه يرفض الزواج. فعقدته لم تنتج عن تخلي «سيلين» عنه فقط، فقد فعل والده الشيء نفسه. ما الذي يمكن أن يجعله يغيّر هذه القناعة الراسخة في نفسه؟

اعتذرت «كارلا» بعد العشاء بقليل، مدعية التعب والرغبة في أن تنام باكراً. لكنها في الواقع، متلهفة لغسل وجهها من الماكياج ونزع الشعر المستعار. وفي غرفتها ألقت الشعر المستعار على السرير ثم اتجهت إلى الحمام، حيث أمسكت المنشفة وأخذت تزيل عن وجهها ماكياج التنكر.

تمتمت مسرورة بالعودة إلى طبيعتها: «ماأجمل هذا».

وارتدت قميصها القطني الطويل وأوت إلى الفراش.

ستقرأ قليلاً قبل أن تنام.

لكن ما أن فتحت الكتاب حتى رن هاتفها الخلوي. نزلت عن سريرها وركضت إلى حيث وضعت ملابسها، محاولة أن تعثر على الهاتف قبل أن يرن مرة أخرى. لأن «ماثيو» في الطابق السفلي وسيسمعه حتماً.

اختطفته وفتحته لتقول لاهثة: «هالو»

ـ «كارلا». أنا «ماثيو».

ـ مرحباً.

سارت على أطراف أصابعها إلى الباب، وفتحته قليلاً ثم أخذت تصغي. سمعت صوته آتياً من غرفة الجلوس، فأغلقت الباب بهدوء.

ـ لا أحد عند بابك الآن؟

ـ في هذه الساعة؟ كنت في الحقيقة أستعد للنوم.

ثم عادت إلى سريرها وانسلت بين الأغطية.

ـ إنها التاسعة والنصف فقط.

ـ كان نهاري متعباً.

وكادت تضحك وهي تفكر في أنه في الطابق السفلي فيما هي هنا. لم تشأ أن تتركه بعد العشاء. لو كانت تعرف رقم هاتفه، فهل كانت لتتصل به؟

ـ وأنا أيضاً.

ـ ماذا كنت تفعل؟

ـ كنت أفكر، وأضع مسوّدة العرض، وأسلّي عمتك. إنها سهلة المعشر وليست كبعض الناس الذين أعرفهم.

فقالت ساخطة: «وأنا سهلة المعشر أيضاً».

ـ ليس عندما تتفجرين شرراً.

ـ الشرر؟

ـ هممم. . . ذكريني بأن أثبت لك ذلك عندما نتناول العشاء معاً يوم الأربعاء القادم.

ـ إذا كنت بحاجة إلى من يذكرك، فهذا يعني أن الأمر ليس صحيحاً.

ـ لعله صحيح بالنسبة إليّ فقط.

مدّت يدها تطفىء المصباح، ثم عادت تندس بين الأغطية. كانت تحلم بأن تسمع صوته في الظلام، وها هي تسمعه.

ـ أخبرني المزيد عن جزيرتك تلك.

ـ أفضّل أن أخبرك عما يمكننا أن نفعله عندما تأتين إلى هنا. هل ركبت يوماً في طائرة برمائية؟

فكادت تسأله: قبل اليوم؟ لكنها تداركت نفسها وردّت: «لا».

- سنطير فوق الساحل وبهذا يمكنك أن تري اليابسة من الجوّ. وندور حول جزيرة «هنلي» لتري المكان عن علو، ثم نهبط بجانب الكوخ. ما هو أول ما تحبين القيام به؟ أن تقومي بجولة أم تزوري المدينة؟

- ماذا تقترح أنت؟

- آه، امرأة تضع نفسها بين يدي كلياً.

طرفت بعينيها. اليدان اللتان أخذت تحدّق إليهما في الطائرة هذا الصباح؟ بماذا ستشعر عندما تصبح كلياً بين هاتين اليدين؟ وشعرت بحرارة تتدفق في عروقها.

قالت لاهثة: «حسناً، ربما ليس كلياً».

الصورة التي أخذت تتراقص أمامها جعلت خفقات قلبها تتسارع.

- كنت أظنك جريئة.

- أنا كذلك، لكن في مسائل معيّنة.

- ليس في كل المسائل؟

- أخبرني بالمزيد عن هذه الرحلة إلى الجزيرة.

- سنذهب في جولة أولاً، فنسير بين الأشجار إلى أن نصل إلى أعلى نقطة في الجزيرة. في الأيام المشمسة ترين مناظر تخطف الأنفاس بجمالها. سأعانقك هناك.

غاصت «كارلا» أكثر بين وسائدها.

- «كارلا»؟

كان صوته عميقاً مثيراً. وتمنت لو أنها لم تخض قط هذه المغامرة. أتراها كانت ستقابله صدفة في المسرح؟ هل كانا سينسجمان معاً من دون مشكلة عملها؟

- «كارلا»؟

- هممم؟

- ماذا تفعلين؟

- أبادلك العناق، طبعاً. تصبح على خير يا «ماثيو».

٧ - تهديد . . . وابتزاز

استيقظت «كارلا» باكراً لكي تسوّي تنكرها قبل أن يصحو «ماثيو». كانت تستعد للخروج عندما سمعته ينزل إلى الطابق السفلي. فتحت بابها ولحقت به لكنها وجدت المكان خالياً. نظرت من النافذة فرأته متجهاً نحو المدينة.

ذهبت إلى المطبخ وحضّرت لنفسها فنجان قهوة. أتراه خرج ليبتاع لبناً للإفطار؟ أم ينبغي أن تبحث في الثلاجة علها تجد ما تحضّر منه فطوراً؟

لكن نظرة سريعة إلى داخل الثلاجة أنبأتها بأنها فارغة إلا من التوابل. لم يكن يمزح حين قال إنه يأكل غالباً في الخارج. عندما جهزت القهوة، حملت كوبها وتوجّهت إلى الشرفة أمام الباب الأمامي. كان الجو لا يزال بارداً بعض الشيء فسرّت لأنها ارتدت كنزة سميكة. كما أن الشعر المستعار أشبه بقبعة تحمي رأسها.

كان المكان هادئاً ساكناً. وتناهت إليها زقزقة الطيور فوق الأشجار، واشتمّت رائحة ملح البحر الخفيفة في الجوّ. كانت أشعة الشمس تتألق على المياه ولاح لها جزء من ذيل الطائرة الصغيرة فقط. ما من أثر لإنسان يكسر سحر الطبيعة. لا عجب في غرام «ماثيو» بالعزلة، فما يحيط به جذاب ومثير.

وعندما أنهت قهوتها لم يكن قد عاد بعد، فتوجّهت إلى المكتب لتعيد مراجعة العرض الذي وضعا مسوّدته. عندما يعودان إلى العمل ستعدّه لتقدّمه له متضمناً البيانات والتصورات التي دوّنها على الهامش.

كانت مستغرقة في أفكارها، بحيث لم تسمع «ماثيو» يعود. لكن شيئاً ما، لعلها الحاسة السادسة، نبهها. رفعت بصرها فرأته متكئاً على إطار الباب، وقد شبك ذراعيه على صدره: «لست مضطرة للبدء بالعمل باكراً بهذا الشكل. ذهبت لأحضر فطوراً، ظننت أنك لم تستيقظي بعد».

ـ أنا أستيقظ باكراً دوماً. القهوة جاهزة في المطبخ.

ـ طالعتني رائحتها. وقد أحضرت كرواسون وخبزاً طازجاً. أتريدين فطوراً؟

ـ نعم. أكاد أموت جوعاً. خزائنك خالية تماماً.

ـ من غير المعقول أن أترك طعاماً هنا ليفسد.

وعندما جلسا يستمتعان بأكل الخبز الطازج، دار بينهما حديث ممتع لا يسبب الضيق كتلك المكالمة الهاتفية في الليلة الماضية. كانت ترى عرضاً نادراً لاختلاف تصرفات الإنسان باختلاف محدّثه. وقد أحبت كل ما عرفته عن «ماثيو غرافيلين».

حرص «ماثيو» على النقد وهما يراجعان العرض، فقد أخذ يذرع الغرفة جيئة وذهاباً، متحدثاً عن كل شيء، طالباً إثباته. وكانت «كارلا» تحاول أن تتذكر خطتهما البارعة فتعطيه الجواب الذي يجذب الزبون، وتسجل ملاحظة على الهامش عندما لا يأتي الجواب كما يريد «ماثيو». وعند نقطة معيّنة عارضها مفنّداً حقيقة واقعة، فوقفت ويداها على خصرها وأعطته جواباً ممتازاً.

أجفل للحظة، ثم انقض عليها يحتضنها: «هذا رائع، ممتاز، ممتاز تماماً!».

انتبه على الفور إلى ما فعله، فتراجع خطوة وقد هبطت ذراعاه إلى جانبيه، ثم مال برأسه ونظر إليها: «آسف، لقد جرفتني حماستي».

احمر وجهها، وأدركت ذلك فحاولت أن تتظاهر بالتماسك: «يسرّني أنني استطعت أنّ أقدم بعض المساعدة».

رباه، بدت معتزة بنفسها. لكنها تبدو، كما ترجو، في الخمسين من

عمرها.

ـ نحن فريق رائع يا «جانيت». يجب أن تكوني حاضرة عند تقديم العرض. إذا استطعت أن تفكري هناك بالسرعة نفسها التي تفكرين بها هنا، فلن يقف في طريقنا أحد.

تملكها الزهو. إنها بارعة في مهنتها، وتتفهم الجوانب الهامة من العمل جيداً. ومن المؤسف جداً أنّ «ماثيو» لا يريد أن يكون منفتح الذهن ويعترف بكفاءة المساعدات الشابات. بعد الظهر سألها «ماثيو» إن كانت مستعدة لرحلة العودة. قال وهو يحزم حقيبة أوراقه: «يجب أن أعود إلى ڤانكوڤر. كما يمكنك أن تستفيدي من بقية عطلتك الأسبوعية، وأنا أقدرّ لك عونك هذا، يا «جانيت». لقد أنهينا العمل بأسرع مما كنت أتوقع».

ـ شكراً، يا سيد «غرافيلين». أريد أن أكون عضواً فعالاً في الفريق.

حدّق إليها لحظة ثم أومأ: «أنا جاهز للرحيل بعد حوالى ربع ساعة. عندما تصبحين جاهزة. . .».

فقاطعته: «سبق وحزمت أمتعتي. أحتاج إلى ربع ساعة فقط».

ذهبت لتحضر حقيبتها وقد تملكتها مشاعر مختلطة، إذ استمتعت بهذه العطلة، خاصة وأنها قضت الكثير من الوقت مع «ماثيو»، وعرفت المزيد عنه، وعن أسرته، وعما جعله كما هو الآن. لكنها لم تتمكن من العثور على طريقة تجعله يغيّر رأيه في قاعدة اختياره لموظفيه. ربما بإمكانها أن تركز على هذه المسألة لبقية النهار. عادت تتفقد هاتفها الخليوي لكي تتأكد من أنه مقفل. لم تكن تريد المجازفة بأن يرن في الطائرة.

أحسّت وكأنها مدمنة على السفر ولم تشعر بأي غثيان حين حطت الطائرة في الميناء. بدت لها رحلة العودة أقصر من رحلة الذهاب، إذ سرعان ما استقرت الطائرة في ڤانكوڤر.

وعندما ناولها حقيبتيها، قالت: «أول ما سأقوم به صباح غد، هو تصحيح العرض».

- هل يمكنك أن تدرجي في جدول الأعمال اجتماعاً مع رؤساء الأقسام حالما تنتهين؟ أريد أن أراجع كل التفاصيل وأتأكد من أننا قادرون على تنفيذ تعهداتنا. فإذا انتهت الأمور بشكل جيد، سنعلن عن اجتماع مع آل «تايلور». سأوصلك إلى بيتك.

وكانت «كارلا» تعلم أنه سيعرض عليها ذلك، فقالت: «شكراً، لكن لدي عملين أقضيهما ما دمت خارج بيتي. فهلاً طلبت لي سيارة أجرة؟».

لم يسألها كيف ستنجز ما عليها القيام به وهي تحمل حقيبتيها. وبعد خمس دقائق كانت تستقل سيارة الأجرة وحدها.

بعد أن غادرت المرسى، أعطت السائق عنوانها ثم استندت إلى الخلف شاعرة بالارتياح التام. لقد نجحت. أمضت عطلة الأسبوع بجواره ولم يشتبه بشيء! لكن الارتياح كان ممزوجاً بالشعور بالذنب. كانت تكره عدم صراحتها معه كما هو صريح معها. أرجوك يا إلهي، دعه يصفح عني عندما يعلم الحقيقة! دعه يعترف أن رأيه في العمر غير منطقي وأنها مساعدة ممتازة له!

رفضت أن تفكر في ما هو أبعد من ذلك. هل سيعتبرها صديقة بعد أن يعلم الحقيقة؟

* * *

دخل «ماثيو» إلى شقته وألقى بحقيبة ملابسه على الأرض. سيخرج أمتعته فيما بعد. أولاً، يريد أن يعلم ما إذا كانت «كارلا» في المنزل.

خاب أمله وهو يجد هاتفهامقفلاً. أتراها أقفلته أم أن بطاريته فارغة؟

رفض أن يستسلم لشعور الخيبة الذي تملكه. سيقصد بيتها باكراً ليراها، رغم أنه لم يذكر لها ذلك، كما لم يلمّح إلى ذلك في الليلة الماضية. توجه إلى المطبخ وأخرج زجاجة صودا باردة من الثلاجة ثم عاد ليجلس على الأريكة، ماداً ساقيه أمامه. أخذ يرشف شرابه وهو يفكر في حديثهما الليلة الماضية. كانت أجوبتها صريحة وتلقائية، ما ذكره بمدى استمتاعه برفقتها بعد ظهر يوم السبت ومساء الأربعاء. وتساءل عما إذا

كانت سترافقه حقاً في عطلة نهاية الأسبوع. هل سيتمكّن من أن يحافظ على عفة علاقتهما حينذاك كما كان الأمر مع عمتها؟

أخذ يتململ على الأريكة. لم يشأ أن يتذكر ردّ فعل «جانيت» حين احتضنها والتي أحس بها جسده. مضت لحظة أحسّ فيها بشيء بينهما. لم يشعر قط من قبل بجاذبية نحو النساء الكبيرات في السن. لعل السبب في ما جرى هو حماسته البالغة بعد سماعه رأيها الصائب.

عاد يرشف الصودا مقطباً. هذا هو السبب بالطبع. يريد أن يتابع العمل مع تلك المرأة مدة طويلة، وسيرفض أي شيء يقف بينه وبين ذلك. لكن ذكرى جسدها الأنثوي طالت، ذاك الشعور بالرغبة أثار اضطرابه.

* * *

صباح الأربعاء، شعرت «كارلا» كأنها عملت أسبوعاً كاملاً. سارت الاجتماعات مع المدراء على ما يرام. ولشدة ما كان «ماثيو» يرغب في عقد الصفقة بسرعة، قرر عقد اجتماع ما إن علم أن الزوجين «تايلور» قادران على لقائه يوم الأربعاء، بعد الغداء مباشرة.

مفكرة هذا اليوم كانت زاخرة بالعمل. كان الاجتماع على وشك أن يبدأ. عند الساعة الواحدة، أخذت تدعو الله أن يتمم الأمور على خير. كان عليها أن تعود إلى بيتها وتستعد لتخرج مع «ماثيو» لتناول العشاء عند الساعة السابعة.

عندما جلست إلى طاولة الاجتماعات المصقولة، نظرت إليه. أبقى بينهما حاجزاً طوال الأسبوع، مختاراً التحفظ وهو ما كانت تحاول أساساً غرسه بينهما. لم تكن تعلم سبب هذا التغيّر، لكنه منحها المجال الذي تريده. لهذا لم تسأله عن السبب.

قالت «إيفلين تايلور» حين جلست «كارلا» قربها: «يسرّني أن أراك مرة أخرى، يا عزيزتي».

- وأنا أيضاً مسرورة برؤيتك، يا سيدة «تايلور». أرجو أن نقنعك بأن شركتنا «كنسنجر الكترونيك» هي الأفضل في المدينة.

www.elromancia.com

ـ إذا كانت حماستك موجودة في الأقسام الأخرى، فربما ستقتنع.

ما كان يمكن للأمور أن تصبح أفضل، كما أخذت «كارلا» تفكر عصر ذلك اليوم. عرّف «ماثيو» بعدد من كبار مدراء شركته، وتحدث عن كل نقطة من الخلاف، مبيّناً كيف ستتعامل الشركة مع كل موضوع. وإذا ما طرح أحد من أعضاء وفد «تايلور» سؤالاً ما، غالباً ما كان يدع غيره يجيب. وعندما أجابت «كارلا» عن سؤال معيّن، وتلقت منه إيماءة باسمة، تملكتها البهجة. ومع حلول الساعة الرابعة، كانوا قد أنهوا كل النقاشات، ونظرت السيدة «تايلر» إلى زوجها قائلة: «أظن أننا سمعنا ما يكفي لكي نتخذ قرارنا. سنعاود الاتصال بكم في الأسبوع القادم».

أومأ «ماثيو» بابتسامة عريضة: «سيكون هذا ممتازاً. وإذا احتجتم لطرح أي سؤال أو استفهام، فيمكنكم الاتصال بي أو بالآنسة «جونز»».

نهضت «إيفلين» وابتسمت لكارلا قائلة: «شكراً، يا عزيزتي. اجتماعنا اليوم أثبت لي كم تغيرت الإدارة في الشركة مع وصول «ماثيو». وأنا متشوّقة للتحدث إليك على الدوام».

كادت «كارلا» ترقص في أنحاء القاعة بعد مغادرة وفد «تايلور»، وعودة المدراء إلى مكاتبهم.

قالت لماثيو وهي تتدفق حماسة: «هل سمعت ما قالته، يا «ماثيو»؟ إنها متشوّقة للتحدث إليّ على الدوام. هذا يعني أنهم سيقبلون عرضنا، أليس كذلك؟».

ـ نعم. التأخير مجرد تظاهر ليحصلوا منا على تنازل أو أكثر. لكنني أظن أننا نجحنا اليوم.

ووقف لحظة، ثم سألها: «أتودّين تناول العشاء معي احتفالاً بالمناسبة بعد الانتهاء من العمل؟ فقد بذلت جهداً عظيماً لإنجاح هذا المشروع».

شعرت بتمزق. العشاء هو أمر رائع يقوّي الروابط بينهما. كما أنها قامت بجهد كبير، لكنها بحاجة إلى الوقت لتذهب إلى بيتها وتغيّر

مظهرها. وعندما لاحظ تردّدها، حمل ملفاته: «لا بأس يا آنسة «جونز». ربما في وقت آخر».

ـ أرحب بذلك في وقت آخر لكن لدي موعداً الليلة. يجب أن أغادر في الخامسة.

ـ أتفهم ذلك.

وأومأ بشكل رسمي ثم غادر القاعة.

حملت بقية دفاتر الملاحظات والملفات، عالمة أنها نسفت كل شيء. فهو لم يتفهم مطلقاً. إلا إذا اعترفت بالحقيقة كلها. . . وهذا ما لن تفعله الآن. إلى متى ستستمر في هذا التنكر؟ كلما أسرعت في إنهاء هذا الخداع، كلما كان الصفح أسهل، أليس كذلك؟

كادت تسير إلى مكتبه لكي تعترف بالحقيقة كاملة في تلك اللحظة. لقد أحسنت العمل في المشروع، ولا بد أنه أدرك مهارتها. وهو يعرف أكثر من أيّ إنسان آخر أنها لا تهتم برجل سواه، وبهذا لا يخشى أن تفلت من يده لتلاحق مغامرة غرامية.

لكنها ترددت. ليس الآن.

أحسن مناسبة هي عندما توقّع عقد العمل معه. لقد اعترف بدورها في المشروع، وربما سيكون مزاجه ممتازاً عندما يوقعان العقد. وهكذا ستنتظر قليلاً.

* * *

بدا أن الحظ إلى جانبها. خطر هذا لـ «كارلا» عصر ذلك اليوم عندما غادر «ماثيو» المكتب مبكراً. وهكذا هرعت إلى بيتها وقد توفر لها المزيد من الوقت للاستعداد لموعدهما على العشاء. تملكها الابتهاج لأنها قررت أن تعترف له بعد أن يوقعّوا الإتفاقية مع آل «تايلور». يمكنها الآن أن تستمتع بسهرتها من دون أن يعذّبها ضميرها. لكن هذا لا يعني أن تتخلى عن حذرها، إنما أصبحت تعلم على الأقل أن النهاية أصبحت قريبة.

سيغضب، إلا أنه سيعترف حكماً بأنها كانت مساعدة ممتازة له، هي

تعتمد على هذا الأمر لتحتفظ بوظيفتها، بالإضافة إلى مساهمتها في هذا المشروع.

ارتدت للسهرة ثوباً أحمر يفصّل الأجزاء المثيرة من جسمها. وضعت زينة وجهها بعناية، وسرّحت شعرها القصير ثم ضحكت لصورتها في المرآة. كانت متلهفة لرؤيته مرة أخرى.

لكنها وبخت نفسها، فالحكمة تدعوها للحذر وللسيطرة على الأحلام التي راحت تجرفها. يجب أن تتحكّم بهذه المشاعر. ففي هذه المرحلة، هي مجرد صديقة يدعوها إلى العشاء!

عندما دق جرس الباب، كادت تطير لتفتحه. كان «ماثيو» واقفاً وفي يده باقة ضخمة من أزهار الربيع.

رفعت حاجبيها مستفهمة، فقال: «هذه لك. فكرت في أن أزهار الأسبوع الماضي ذبلت دون شك».

ـ شكراً.

ومدّت يديها تتناول الأزهار وقلبها يخفق. إنها تعشق الأزهار، وقد تذكر ذلك منذ عشاء الأسبوع الماضي.

ـ أدخل. سأضع هذه في الماء ثم أستعد للخروج. أتريد شراباً قبل ذلك؟

ـ وقتنا لا يسمح. حجزت مائدة في مطعم «بالكومب» شمال «ڤانكوڤر». بإمكاننا أن نستخدم المعدّية لنصل إلى المطعم عن طريق البحر.

ـ هذا عظيم.

دخلت إلى المطبخ تنسق الأزهار بعناية، لتعود بها إلى غرفة الجلوس وتضعها وسط المنضدة. . . بعدئذٍ، تراجعت تتأملها بإعجاب. كانت الأزهار مزيجاً مميزاً، رائع الجمال. قالت برقة: «أعشق الأزهار».

ونظرت إلى «ماثيو» فتسارعت دقات قلبها وهي تراه أحسن مظهراً مما كان عليه في المكتب. ولمست ذراعه شاكرة.

ـ حوض السفن ليس بعيداً ويمكننا أن نذهب سيراً على الأقدام. يمكنني أن أطلب سيارة أجرة إذا كان حذاؤك غير مناسب.

أضاف كلامه الأخير وهو ينظر إلى حذائها العالي الكعبين.

ـ المشي أفضل وهذا الحذاء مريح.

انتعلت هذا الحذاء خصيصاً، تحسباً لوجود موسيقى ورقص في المطعم. لكنها لم تطل التفكير في الأمر.

كانت المعدّية مزدحمة برجال الأعمال العائدين إلى بيوتهم في نهاية النهار. أما السيّاح فازدحموا عند الحاجز الحديدي وهم يشيرون إلى المعالم التي يعرفونها بحماسة. وجد «ماثيو» مكاناً لهما بعيداً عن الريح ورذاذ الماء المالح، عند نافذة واسعة تطل على المياه. ابتسم لامرأتين مسنتين بجانبهما، ثم ركز انتباهه على «كارلا»: «هل سبق لك أن ذهبت إلى مطعم بالكومب؟».

ـ مرة أو اثنتين. أظن أنهم يقدّمون ألذ طعام إيطالي في المنطقة.

ـ لقد مدحه «ريتشارد تايلور» كثيراً.

كادت «كارلا» تعلق على الأمر لكنها تداركت ذلك على الفور. فبصفتها «كارلا» ليس من المفترض أن تعرف «ريتشارد تايلور».

ـ هل هو صديق لك؟

ـ زبون جديد. . . كما أتوقع.

ـ هل هو المشروع الكبير الذي باشرت به؟

ـ إنه المشروع الكبير الذي أصبح مضموناً.

حدّثها عن العرض ورد فعل «تايلور». وأصغت هي وتأثرت حين أخذ يمدحها. كما تحدّث أيضاً عن المدراء الذين ساهموا بآرائهم ومعلوماتهم. لعله مدير متخصص بتحسين إدارة الشركات، إلاّ أنه لا يحتكر المجد لنفسه. فقد لفتها حرصه على أن يذكر مساهمات الآخرين.

عندما وصلا إلى مرسى السفن في شمال «ڤانكوڤر» اندفع معظم الركاب للخروج.

فقال «ماثيو» وهو ينظر إليهم: «إذا انتظرنا قليلاً، فسيخف الزحام وبالتالي نتمكن من أن نسير كأناس متحضرين».

- تعجبني طريقة تفكيرك، فأنا لا أحب الزحام والتدافع.

- عرفت هذا ليلة كنا في المسرح. لذا سننتظر.

كما انتظرت بجانبهما امرأة مسنة، راحت تنظر إلى الزحام متوجسة.

وعندما خرج معظم الركاب، وقف «ماثيو» وقدّم يده «لكارلا». وإذا بالمرأة المسنة تقول وهي تقف مترنحة: «عفواً يا سيدي. هل هذا آخر موقف؟ إذا كان هناك من ينتظرني، فهل عليّ أن أنزل هنا؟».

- نعم يا سيدتي. هذا آخر موقف في شمال «ڤانكوڤر». هل ثمة من ينتظرك؟

فقالت بزهو: «نعم، حفيدي. دعاني هو وزوجته، إلى العشاء احتفالاً بعيد ميلادي. قلت لهما إنني سألاقيهما لأنهما يتعبان في العمل، لاداعي لقدومهما إلى «ڤانكوڤر».

فقال «ماثيو»: «لماذا لا تسيرين معنا، فنتأكد من أنه وجدك؟».

- شكراً.

نزل الثلاثة من المعدّية إلى المحطة النهائية حيث احتشد ركاب رحلة العودة. مضت أكثر من ربع ساعة قبل أن يهرع إليهم شاب هاتفاً وهو يحتضن المرأة المسنّة: «جدتي، آسف لتأخري. إنها زحمة السير».

واحتضنتها زوجته وهي تبتسم لها: «مرحباً، جدتي. كنا قلقين للغاية عليك. هل ظننت أننا لن نحضر؟».

- لا. هذا الشاب اللطيف وصديقته بقيا معي.

تم التعارف بينهم، ثم ودع «ماثيو» و«كارلا» الآخرين واتجها إلى المطعم.

وفي الطريق، قالت «كارلا»: «ظننت للحظة أنهما لن يأتيا».

- كنت أفكر في دعوتها لتناول العشاء معنا.

تمتمت: «أنت غير مسؤول عنها».

حاولت أن تفكر في رجل آخر مستعد لأن يفعل هذا. قد يجادل «ماثيو» في مسألة القيود والأسرة، فهو رجل أعمال صلب كرس نفسه للعمل، لكن قلبه حنون. وقد ينكر ذلك حتى يوم القيامة، لكنها تعلم الحقيقة. كما كانت تعلم أنها قد تغرق في حب شخص... ومن ثم لا تعرف ماذا تفعل بهذا الشأن.

لم يكن المطعم مزدحماً. وقادهما النادل إلى مائدة هادئة منعزلة تماماً، حيث طلبا «الطبق نفسه» وعندما علّق «ماثيو» على هذا، قالت: «أدمغة العباقرة متماثلة. ألا تعلم هذا؟».

كانت تعبث بكأس الماء وتتأمله، عندما تلاقت أعينهما. خفق قلبها، واحمرت وجنتاها ولم تستطع أن تحول نظراتها.

- أخبرني الآن عن يومك، فقد أطلت الحديث عن يومي.

- تلقيت تكريماً من رئيسي، وخرجت في الوقت المناسب. كان يوماً عظيماً.

فابتسم: «وهل هذا الأمر يجعله عظيماً؟ لا بد أنه رئيس مستبد يستغل مستخدميه».

فقالت جادة: «بل هو رئيس رائع. وأنا أتعلم الكثير من العمل معه».

فقال: «الوفاء ميزة جميلة يا «كارلا»».

سألته لئلا تلقي بنفسها بين ذراعيه: «هل ستستأجر شقة أم تشتري منزلاً؟».

- سأستأجر شقة مؤقتاً. أريدها واسعة، وتطل على المحيط.

انتقل الحديث بسهولة من خطط «ماثيو» المستقبلية، إلى المسرحية الاستعراضية التي تقابلا فيها. وذكر عرضاً إمكانية خروجهما لحضور مسرحية أخرى قريباً. أعجبتها قدرته على وضع الخطط ببساطة. إنه يحب أن يكون برفقتها، بقدر ما تستمتع هي بأن تكون معه. كانا يرشفان القهوة في نهاية العشاء عندما دعاها رسمياً إلى كوخه.

سألت لكسب الوقت: «ذلك الذي في الجزيرة؟».

www.elromancia.com

لقد ذكر الأمر من قبل، لكنه يسأل الآن عن عطلة نهاية هذا الأسبوع تحديداً.

إنه يريدها أن تمضي السبت والأحد معه في جزيرة «هنلي»... وحدهما!

ـ عليّ أن أراجع..

ـ مفكرتي...

أكمل كلامها ثم أضاف: «إفعلي ذلك واتصلي بي غداً».

ولم تعد قادرة على التركيز على حديثهما عندما رأت أنه مصمم على قضاء العطلة الأسبوعية معها. لكنها بذلت جهدها، ومرّ الوقت بسرعة. عندما اقترح مغادرة المطعم، كارهاً، وافقت على ذلك.

عادا إلى شقتها قبل العاشرة، وسار معها إلى الباب. سألته غير راغبة في أن تنهي السهرة باكراً: «أتحب أن تدخل لتشرب قهوة؟»

ـ إذا دخلت، ستكون الدعوة مفتوحة.

ولامس خدها بأصابعه وحدّق إلى عينيها: «شكراً لقضائك السهرة معي، يا «كارلا»».

ـ أمضيت وقتاً رائعاً.

سيعانقها، وهي تعلم ذلك. وببطء، اقترب رأسه من رأسها ثم لمست يده خدها فكادت لا تشعر بها. وإذ فرغ صبرها لبطئه هذا، وقفت على أطراف أصابعها ثم وضعت يديها حول عنقه وأدنت نفسها منه. الأحاسيس التي اكتسحتها ملأتها بهجة. وعندما امتدت ذراعاه لتطوقاها استرخت، شاعرة وكأنها دخلت الفردوس على الأرض.

إلى متى يمكن أن يبقيا صديقين؟ حتى وإن كانت صداقتهما حميمة؟

***

عند الصباح، وجدت مغلفاً آخر على مكتبها. تمتمت وهي تفتحه: أصبحت أتوقع هذه الرسائل.

(خدمة صغيرة تحفظ سراً كبيراً. للرجال تزكياتهم. حان الوقت

ليكون لنا ذلك نحن أيضاً).

أعادت «كارلا» الرسالة إلى المغلف، ثم دسته في حقيبتها. فكرت في أن تسأل «ليزا» عما إذا رأت أحدهم يدخل المكتب، لكنها لم تشأ أن تبدأ الموظفة الجديدة بالتساؤل عما تخفيه. وأدركت من الجملة الأخيرة أن المرسل امرأة... ولكن من هي؟

كان أمام «كارلا» ثلاثة خيارات. الأول، هو ألاّ تفعل شيئاً. والثاني، أن تعترف لماثيو على الفور وترجو أن يكون راضياً عن عملها وعنها شخصياً بحيث يتخلى عن قاعدة «٢٥-٥٠». والثالث، أن تحاول العثور على صاحبة الرسائل وتوضح لها أنها لن ترضخ لابتزازها. فوفاؤها للشركة ولماثيو تام.

وبقي عليها أن تقرر ما ستفعله بالنسبة إلى العطلة الأسبوعية. فهي تقضي مع الرجل أيام الأسبوع كلها، ما من ضرر حتماً من قضاء عطلة معه في الجزيرة. الوقت الذي أمضياه معاً، مكنها من أن تعرف عنه الكثير من المعلومات الشخصية التي لا يعرفها سواها.

لم تشعر قط من قبل بأنوثتها وقيمتها كما تشعر بهما وهي مع «ماثيو». هل لديه فكرة عن تأثيره عليها؟

قد يغيّر الاعتراف بالحقيقة كل شيء، كما أخذت تفكر باكتئاب. فقد كان «ماثيو» واضحاً جداً حين قال إنه لا يخرج مع امرأة تعمل معه. لذا فحتى لو أبقاها في وظيفتها بعد أن يعرف عمرها، وهو ما كانت ترجوه، إلاّ أنه سيكف عن الخروج معها. وهذا يكفي لكي تغيّر رأيها بشأن الاعتراف حتى وإن كانت تعلم أنه التصرف الصائب.

كانت واثقة من أنه متمسك بقاعدته بالنسبة للمواعيد الغرامية. إنه قرار لا يمكنها مناقشته فيه، إذ يمكن لأيّ علاقة حبّ في المكتب أن تعقد الأمور. لذا، لعلها الفرصة الوحيدة التي ستتمكن فيها من قضاء العطلة الأسبوعية معه.

وهكذا اختطفت هاتفها الخليوي وسارت إلى الردهة. وبعد أن

تأكدت من خلوها وخلو السلم تماماً، طلبت رقم «ماثيو» الخاص، وسرعان ما أجابها. فقالت مرهفة سمعها: أنا «كارلا».

ـ هل راجعت مفكرتك؟

ـ نعم. وأنا حرة. يسرني أن أذهب معك إلى الجزيرة أثناء عطلة الأسبوع.

فقال بسرور بالغ: «هذا حسن. سنرحل صباح السبت. سآمر لأصطحبك في السابعة».

ـ هذاعظيم. إلى اللقاء إذن.

أقفلت الهاتف شاعرة بالارتياح لأنها أنهت هذه المخابرة من دون أن يراها أحد. ركزت أفكارها على العمل بعد أن قررت أن تستشير صديقتها «باث» بشأن الرسائل عندما تذهب لزيارتها غداً مساء. ما من شخص آخر تسأله. كل ما ترجوه هو ألاّ يسرّع المرسل الأمور ويطلب أن تدفع له ما يريد قبل يوم الجمعة.

* * *

بعد العشاء، جلست «كارلا» تشاهد التلفزيون، لكن أفكارها سرحت إلى العطلة الأسبوعية القادمة. أوشكت أن تنبذ هذه الأفكار وتقوم بعمل مفيد، كتنظيف خزانتها، عندما سمعت قرعاً على بابها. فتحته، فدهشت لرؤية «ماثيو».

ـ قررت أن أختبر حظي لأرى إن كنت هنا.

ـ أدخل. أخبرتك أنني نادراً ما أغيب أثناء الأسبوع. ولهذا وجودي هنا ليس من باب الحظ.

سألها وهو ينظر في أنحاء غرفة الجلوس: «هل قاطعتك في عمل ما؟».

ـ لا. حاولت متابعة برامج التلفزيون، لكنني لم أنجح. هل جئت تلبية لتلك الدعوة المفتوحة؟ سأضع القهوة على النار.

لم يهمها السبب الذي جاء من أجله، فقد كانت مسرورة لرؤيته.

ـ أتودّين الخروج؟ الجوّ دافىء ويمكن أن نمشي على الشاطىء، ثم نحتسي القهوة في أحد المقاهي.

ـ يبدو هذا عظيماً! دعني أحضر سترتي.

وفي أقل من دقيقتين كانت جاهزة للخروج معه وهي تكاد تطير فرحاً.

قال وهما يتوجهان إلى الخليج: «كان ينبغي أن أتصل بك أولاً».

ـ أحب الأمور التلقائية.

ـ هذا حسن.

أمسك يدها شابكاً أصابعه بأصابعها، فيما حبست هي أنفاسها. تملّكها الشوق، ماجعلها تشعر بكل ما يحيط بها، من عمق لون الشفق، إلى النسيم الذي يلامس وجنتيها.

قال: «لم أشأ أن أنتظر حتى عطلة الأسبوع لكي أراك مرة أخرى. أتريدين أن نتعشى معاً غداً مساءً؟».

ـ لا أستطيع، سأكون مشغولة.

بدا منزعجاً قليلاً، ثم أومأ بفتور: «ألديك موعد؟».

وفشل في أن يجعل كلامه يبدو عفوياً.

هزت رأسها وهي تخفي ابتسامة: «ليس تماماً. أنا ذاهبة لرؤية صديقتي وطفلتها مجدداً».

كادت تطير من الفرح. إنه يهتم إذا ما خرجت مع شخص آخر. بالرغم من أنهما مجرد صديقين، إلاّ أنه لا يحب فكرة خروجها في موعد غرامي! اقتربت منه وهي تشد على يده ثم ابتسمت له: «أنا مسرورة لحضورك الليلة».

في السابعة من صباح السبت، رن جرس الباب، فأسرعت «كارلا» إليه. كانت قد حزمت أمتعتها الليلة الماضية بعد عودتها من زيارة «باث». ونهضت اليوم مبكرة، فلبست ثيابها بسرعة، وانتظرت بفروغ صبر وصول «ماثيو». كانت متحمسة للغاية لهذه الرحلة حيث ستمضي يومين رائعين بصحبته، ما سيعوّض عن عشاء أمس الذي فاتها.

www.elromancia.com

قالت بابتسامة واسعة وقلبها يخفق لرؤيته: «صباح الخير».

ـ صباح الخير.

ومال نحوها يعانقها.

أجفلت وهي ترى نفسها بين ذراعيه. كانت بالكاد قد لمحته، مرتدياً بنطلوناً داكناً وكنزة سوداء. ولكن هذه اللمحة كافية لتظهر شكله الرائع بجسمه القوي العضلات.

أنهى عناقه ببطء، وكأنه يكره أن يبتعد عنها، ثم أراح جبهته على جبهتها وقال: «تبدين جميلة».

ـ وكيف عرفت؟ ما أن فتحت الباب حتى انهلت علي بعناقك الفتاك.

ـ عناق فتاك؟

ـ إنه يفتك بأيّ تعقّل لدي.

ابتسم ببطء، فشعرت بنفسها تذوب شوقاً. إنها غارقة في غرام هذا الرجل. فماذا تفعل؟

ـ أحب ذلك.

ـ هممم... أرهن على ذلك. هل أنت مستعجل للذهاب؟ أتريد قهوة؟

ـ القهوة فكرة حسنة جداً. أحضرت فطوراً. هل تناولت فطورك؟

فهزت رأسها: «عادة لا آكل الكثير في الصباح».

ـ ستعشقين هذه.

ودفعها إلى الداخل وأغلق باب الشقة.

ـ رباه، من حسن الحظ أن الوقت مبكر. وإلا لرآنا أحدهم في الردهة.

لم تستطع أن تصدق أنها نسيت أن تغلق الباب.

قال وهو يتجه إلى مطبخها وكأنه تردّد إليه عشرات المرات: «كنت أعلم أننا وحدنا».

وكانت قد حضّرت القهوة فسكبتها وعبق جوّ الغرفة برائحة الخبز

الطازج. فقالت: «الرائحة رائعة».

أحضر طبقاً أفرغ فيه الكرواسون والخبز الطازج قبل أن يقول: «إذا كان لديك مربّى، فسنجلس».

جلسا إلى المائدة الصغيرة، وشمس الصباح تتخلل الأزهار التي لا تزال غضة نضرة. كان جوّ المكان مريحاً، دافئاً، عائلياً، وأشبه بحكاية خرافية، كما أخذت «كارلا» تفكر فيما «ماثيو» يضع المربى على الكرواسون.

إنها جلسة من الأفضل ألاّ تفكر بتكرارها. ولكنها ستستمتع بها اليوم، وتحتفظ بالذكرى إلى الأبد.

سألته، مستمتعة برؤيته وهو يأكل: «هل أحضرت جريدة الصباح؟».

وراحت تختزن في ذاكرتها صورته وهو يمسح الخبز بالمربى، ثم يقضمه ويرشف بعد ذلك القهوة.

ـ لماذا أقرأ جريدة إذا أمكنني أن أنظر إليك؟

فضحكت: «هل تتدرب طوال الليل على كلام تقوله في اليوم التالي لفتاة ما؟».

ـ فقط إذا رأيت أن السيدة المقصودة امرأة حساسة.

ـ وهل أنا كذلك؟

ـ أخبريني أنت.

هزت رأسها ببطء. هذا كذب، إنها حساسة بقدر المرأة التي ستأتي بعدها، وشهد بذلك قلبها المضطرب. لكن لا فائدة من أن يعلم «ماثيو» ذلك. عليها ألاّ تنسى أبداً أنّ هذه ليست سوى لحظة جاد بها الزمن عليها. عليها أن تتلذذ بكلماته هذه، مدّعية أنه سيتغيّر وسيبنيان المستقبل معاً. يا لسذاجتها! كما أخذت تفكر وهي تنهض مسرعة لإعادة ملء كوبي القهوة.

***

٨ ـ ارقصي معي

شعرت «كارلا» وهي تركب الطائرة البرمائية بعد ساعة، وكأنها تدربت طويلاً على هذا العمل. فقد حافظت على توازنها بسهولة على القارب، ثم انزلقت إلى مقعدها. ومرة أخرى، بدت قمرة الطيار صغيرة عندما جلس «ماثيو» بقربها. كما شعرت بتوتر وساقه تحتك بساقها. إنها واثقة من أنه تعمد ذلك. يمكنها أن تتصرف مثله، كما خطر لها وهي تمدّ يدها لتأخذ السماعة التي علمها، في المرة الماضية، كيف تستعملها، فاحتكت كتفها بكتفه.

سألته وهي تميل إلى الأمام حتى أصبح وجهها قرب وجهه: «هل هذه لي؟».

التسلية في عينيه أظهرت أنه فهمها... وببطء، مال إليها، فعانقها، فيما راحت الطائرة تهتز بلطف.

قال وهو يبتعد عنها: «على الطيار أن يحافظ على وعيه وتركيزه. عناقك يفقدني تركيزي».

ولمس وجنتها بإصبعه مضيفاً: «سنعود إلى ذلك فيما بعد».

فقالت: «لم أفقد أحداً تركيزه من قبل».

ـ أيتها السيدة. الشاب الآخر لم يكن ليخبرك. فمخ المرأة سلاح، وهذا أمر خطر.

ـ ولكن ليس بالنسبة إليك.

ـ أنا أعشق الخطر.

كانت «كارلا» تعلم ذلك، فقد اكتشفت حديثاً أنها هي أيضاً تعشق الخطر. ألا تمثل هذه الرحلة الخطر بعينه؟

شعرت بإثارة كادت تمنعها من الجلوس بهدوء، إلا أنها أرغمت نفسها على ذلك، محاولة أن تستمتع بهذه الرحلة التي تستغرق ساعة، إلى جزيرة «هنلي». ورأت مشهداً رائعاً لحدود كندا الغربية، مشهداً آخر رائعاً لماثيو وهي تسترق النظر إليه... راجية ألاّ يلاحظ ذلك. لكنه بدا لها مستغرقاً في طيرانه.

عندما استقرت بهما الطائرة على مياه الخليج الصغير قرب الكوخ، اكتسحتها موجة جديدة من الإثارة. هذه المرة هما معاً، من دون عمل يتطلب ساعات. الإلفة والعزلة المفروضان عليهما يملآنها بهجة. كانت تعلم أنهما سيذهبان في جولة، وربما يتناولان الغداء في مقهى في المدينة، في ما بعد...

وعندما ارتطمت الطائرة برفق بالمياه قال لها: «مرحباً بك في جزيرة «هنلي». إبقي مكانك لحظة، سأربط الطائرة وبعدئذٍ تخرجين».

شعرت بالنسيم رقيقاً دافئاً على وجنتيها وهي تخرج من الطائرة. وكانت يد «ماثيو» بانتظارها لتمسك بيديها وهو يقول بصوت منخفض: «أرجو أن تستمتعي بهذه العطلة الأسبوعية».

كانت تعلم أنها ستمضي وقتاً رائعاً حتى لو بقيت واقفة طوال النهار، ما دام يمسك بيديها.

ـ سنأخذ الحقائب إلى المنزل، وسأطوف بك في أنحائه ثم نمشي إلى القرية. ثمة مقهى يمكننا أن نتناول الغداء فيه.

ـ هذا ما قالته عمتي.

ـ هل أخبرتك بالكثير عن الجزيرة؟

فقالت بجرأة: «يمكنك أن تقول إنني رأيتها كلها من خلال عينيها».

ـ إذن، عليك أن تعطيني رأيك، بعد أن تريها وتقارني بين ما سمعته وما شاهدته.

أخذها إلى الغرفة نفسها التي نزلت فيها سابقاً ثم طلب منها النزول إلى الطابق السفلي حين تصبح جاهزة. هل هذا يعني أنه سيحترم عفة

علاقتهما؟

بما أنها تعلم ما تتوقعه من القرية، ارتدت ملابس مناسبة لاكتشاف الأطلال القديمة. وخلافاً لما لبسته في المرة السابقة، اختارت بنطلوناً من الجينز وحذاءً متيناً. أما الكنزة الصفراء فكانت كافية لتمنحها الدفء من دون أن تشعر بالحرّ.

بدا «ماثيو» مستمتعاً بالاكتشاف مثلها، حتى أنه توقّف عند المتجر الصغير حيث وجدا كتيّبات تروي تاريخ الجزيرة. قرآ معاً بعض فصولها، ثم حاولا أن يجدا المواقع التي تتحدث عنها. وعندما توقفا لتناول الغداء في وقت متأخر، كانت «كارلا» قد عرفت الكثير عن الروس الذين جرفتهم المياه إلى الجزيرة بعد تحطم سفينتهم والمشاق التي عانوها. قالت وهي تأكل الشطيرة السميكة: «أنا مسرورة لأنني لم أكن مثلهم».

فسألها: «مسرورة لأنك لم تكوني ماذا؟»

ـ معزولة هنا.

ـ لم يكن الأمر سيئاً للغاية. فالصيد وافر، هناك الكثير من السمك كما يتوفر الحطب بكثرة.

ـ هذا قول رجل براري حقيقي. يمكن أن يضعوك في أي مكان، وتعيش رغم ذلك.

فأومأ متأملاً: «أعتقد أن بإمكاني هذا. لكن هذا لا يعني أنني أريد أن أجرب ذلك».

أخذت تقضم شطيرتها وهي تتصوره يطوف في البراري بجرأة وخطوات واسعة. إنه ينسجم مع تلك البيئة، تماماً كما يناسب قاعة الاجتماعات. لم تعرف قط رجلاً مثله.

ـ والآن، بعد أن نأكل، هل ستأخذني إلى ذلك المرج ذي المشهد الرائع؟

فرفع حاجبيه: «هل هذا كل ما تتذكرينه عن المرج؟ المشهد الرائع الذي حدثتك عنه؟».

أومأت، مدركة أنها تكذب. فأهم ما تتذكره هو أنه وعدها بأن يعانقها هناك.

عندما سارا، بعدئذٍ، في الطرق الوعرة، أخذت تتساءل عما إذا كانت ستعيش حتى تصل إلى المرج. كان الطريق شاهقاً صخرياً ضيقاً، تحف به أشجار الصنوبر السامقة، فشعرت وكأنها تسير في نفق من دون سقف.

لكنها لم تتذمر. كان «ماثيو» يتقدّمها وكأنه يسير على الشاطىء في «فانكوفر». حتى إنه لم يلهث! كانت تعلم أنه يشعر في البراري وكأنه في بيته، بينما هي تتنفس بصعوبة، راجية ألاّ ينفجر قلبها بسبب تسارع دقاته.

ـ هل أنت بخير؟

طرح هذا السؤال عند وصولهما إلى منعطف في الطريق، حيث وقف واضعاً قدمه على صخرة، وقد ثنى كمي كنزته إلى المرفقين، فيما شعره مشعث وعيناه تتألقان في الشمس. قالت وهي تحاول أن تتنفس بشكل طبيعي: «إذا عشت لكي أصل إلى المرج، فلن يساورني الشك في أنه يستحق كل هذا التعب».

مدّ يده وجذبها إليه: «كان بإمكانك أن تقولي إنك متعبة فنستريح قليلاً، إذا شئت».

وأزاح عن وجهها خصلة شعر، ملامساً بذلك خدها: «نحن لسنا في سباق. يمكننا أن نسير ببطء».

ـ أنت لست بحاجة إلى السير ببطء. أنا وحدي بحاجة لذلك.

أخذت نفساً عميقاً، ثم آخر. ما أحسن أن تقف جامدة للحظات.

قال: «لقد وصلنا تقريباً».

فحملقت فيه: «من المستحسن، بعد كل هذا، أن يكون ما سأجده جميلاً».

ألقى برأسه إلى الخلف مقهقهاً. وحبست هي أنفاسها وخفقات قلبها تتسارع لسبب مختلف تماماً. ليس من الإنصاف أن يتمتع رجل واحد بكل هذا السحر والجاذبية. خاصة رجل لا ينفك يردّد أنه لا يريد أيّ علاقة

طويلة الأمد. أخفض رأسه حتى كاد يلمس رأسها، ثم حدّق إلى عينيها بعينين ضيقتين. حجب عنها منظر الشمس والأشجار، فلم تعد ترى سوى «ماثيو»، والقوة المنبعثة من نظراته: «أعدك أن أبذل كل ما في وسعي لكي تجدي ما تتوقعينه رائعاً».

اشتبكت عيناها بعينيه، فحاولت أن تفكر في ما يخفف من جاذبيته الصارخة. لكن لم يخطر لها شيء.

رفع ذقنها بأصابعه وهمس: «لسنا مضطرين إلى قطع كل هذه المسافة إلى المرج إذا كنت لا تريدين ذلك».

شعرت بدفء أصابعه يتسرب إلى كل خلية في جسدها. أتراه يدرك تأثيره عليها؟

قالت بحزم وهي تأخذ نفساً عميقاً آخر، لتملأ رئتيها من رائحة الصنوبر، والتراب، و«ماثيو»: «أريد أن أرى المشهد من المرج».

ولم يخفف النفس العميق من التوتر الذي تملكها، حين سألها: «أهذا كل شيء؟».

فابتسمت بوقاحة: «أنت الدليل السياحي، فأدهشني بما لديك».

المسافة المتبقية بدت سهلة، وسرعان ما كانت «كارلا» تسير في المرج الفسيح حيث تصل الأعشاب إلى الركبتين، وتتألق الأزهار البرية في أشعة الشمس. رأت البحر والأشجار السامقة على المنحدرات. كانت بقعة رائعة الجمال. أخذت تتأمل المشاهد والأضواء فترة طويلة. النسيم العليل وهو يحرّك الأعشاب فتتماوج بما يشبه التماوجات على صفحة المياه.

ـ ما أجمل هذا!

وكان «ماثيو» واقفاً إلى جانبها، فأومأ: «كنت أعلم أنه سيعجبك».

ـ هل هذا ما تراه عندما تذهب في رحلاتك الطويلة إلى البراري؟ لا أثر لإنسان في أيّ مكان؟

ـ أكتشف أحياناً مخيّماً لعمال المناجم، أو مكاناً يستريح فيه

الصيادون، من دون أن ينظفوه قبل رحيلهم، لكنها عادة، أرض كما خلقها الله.

ـ لا عجب في عودتك على الدوام.

وتساءلت عما إذا كانت ستشبع من هذا المنظر.

جلس على العشب ومدّ ساقيه ثم استند إلى الخلف على يديه: «يصبح المكان بارداً في الليل».

فجلست بجانبه: «يمكنك أن تشعل ناراً».

ـ هممم... ثمة طرق أخرى للتدفئة.

سلخت نظراتها عن المشهد ونظرت إليه: «وأنت تعرفها كلها».

ـ أعرف بعضها. هل نتشارك المعلومات؟

أخذها بين ذراعيه وضمها إليه يعانقها. كان جسده صلباً ودافئاً ما بعث موجات من الحرارة في دمائها.

اكتسحت كيانها حرارة تتحدى حرارة الشمس، واختلطت في داخلها المشاعر المحمومة. إنها تعشق هذا الرجل. تعشق البهجة التي يثيرها فيها قربه منها. بدا لها وكأن الزمن توقف، أم لعله يدور بعنف؟

رفع رأسه ونظر إليها. وحدّقت هي إلى عينيه فرأت نار المشاعر مستعرة لا يمكن إخمادها.

ـ هل تشعرين بما أشعر به؟

* * *

أعدّت «كارلا» المائدة في الكوخ، مستمعة إلى «ماثيو» وهو يتنقل في المطبخ. لم يكن الطعام متنوعاً، لكنه لذيذ. تأملت المائدة، مطمئنة إلى أنها وضعت كل ما يلزم. في الظاهر كانت تتصرف بشكل طبيعي، أما في الداخل فهي كتلة ضخمة من الأعصاب المتوترة، كان عقلها يعمل على مستويين... مستوى التصرفات الغريزية المعتادة، ومستوى التركيز على سؤال «ماثيو». هل تشعر بما يشعر به؟

لم تعطه في المرج، جواباً حاسماً. وبدلاً من أن يغضب، بدت عليه

التسلية. أم لعل تصرفه ذلك غطاء يستر به شكوكه؟

لا، لم يعرف «ماثيو غرافيلين» الشكوك منذ كان في الخامسة. وهي تراهن على ذلك. فأهداف هذا الرجل محددة، وآراؤه ووجهات نظره صارمة. وبدلاً من أن يغضب، تصرف وكأنها لم تقل شيئاً غير عادي.

رحلة العودة كانت أسهل بكثير، والحديث ودوداً، حتى أنها قطفت بعض الأزهار البرية. بعدئذ، تفحصا الطائرة وساعدت هي في تزويدها بالوقود.

عندما عرضت عليه أن تساعده في تحضير العشاء، طلب منها بحزم أن تبقى قربه على أن يحضرّ هو كل شيء.

أعجبها أن يعاملها بهذا الشكل الملوكي. «فكيفين» لم يدعها قط إلى العشاء في بيته، كما لم يفعل أيّ من الشبان الذين خرجت معهم. وهذا لا يعني أنها عرفت في حياتها الكثيرين. فقد أمضت الكثير من الوقت في تعلم مهنتها، وفي النشاطات الاجتماعية مع مجموعات من الأصدقاء.

الليلة الماضية، لم تستطع صديقتها «بات» حل مشكلتها كما كانت ترجو. «فتود» مفتتن بطفلته وهو يبقى إلى جانبها على الدوام، لذا، لم تستطع «كارلا» أن تحدث «بات» بكافة التفاصيل كما قررت أن تفعل. لكنها لم تهتم إذ عليها، في النهاية، أن تقرر بنفسها ما عليها أن تفعله.

لمست «كارلا» إحدى الزهور البرية التي تزين المائدة، وراحت تنظر حولها. لقد عشقت هذا المكان. ولا عجب في أن «ماثيو» قصد هذا المكان ثلاث مرات منذ انتقاله إلى «ڤانكوڤر». عندما يعود مالك الكوخ، هل سيبحث «ماثيو» عن مكان مشابه ليستريح فيه؟

مرافقتها له اليوم في البريّة أعطتها فكرة جديدة عنه. أرادت أن تعرف كل شيء عنه. لكنها، في الواقع، تدرك أنها لن ترى قط أسلوبه في البراري. ومع ذلك فجولتهما معاً اليوم منحتها فكرة عنه عندما يكون مرناً. إنه رجل كامل تقريباً. ليته لا يعلق أهمية على قاعدة العمر تلك!

سألها من عند العتبة، وهو يحمل صحناً في كل يد: «أجاهزة أنت للأكل؟» وسرعان ما جلسا إلى المائدة يستمتعان بالطعام.

قالت له وهي تضع الزبدة على البطاطا المشوية: «أنت متعدد المواهب. ما هي الأمور المنزلية الأخرى التي تجيدها؟».

ـ هذه حدودي.

ـ من المؤكد أنك لا تأكل اللحمة والبطاطا المشوية كل ليلة عندما تكون في البراري.

ـ آكل عادة ما أصطاده... من الطرائد الصغيرة... أو السمك. كما آخذ معي دوماً طعاماً محفوظاً للطوارىء.

ـ ألم تستعمل ذلك الطعام قط؟

فهز رأسه نفياً.

ـ إذا أمكنك أن تختار أسلوب حياتك، فهل تفضل العيش في البراري على الدوام؟

ـ لا. بل أحب تحديات العمل. تحويل العمل الفاشل إلى عمل منتج. ثم... وأظنني ذكرت هذا، أنا أحب النساء، ولا أعرف امرأة تستمتع بقضاء وقت في البراري دون وسائل الراحة التي تعتبرها أمراً مسلماً به. هل يمكنك ذلك؟

ـ ربما لا.

لكن إن كان من شخص قادر على جعل البراري آمنة ومثيرة في الوقت نفسه، فهو «ماثيو». سألها وهو يهم بسكب كأس عصير لها: «ما هي الحياة المثالية التي تحلمين بها؟».

وانتظر جوابها، فقالت ببطء: «أحب حياتي كما هي الآن. لدي أصدقاء كثيرون أقوم بنشاطات معهم، ووظيفة أعشقها، ووالدان أستطيع زيارتهما من دون أن أشعر أنهما يكتمان أنفاسي».

ـ لكن من دون رجل ثابت في حياتك.

فهزت كتفيها: «هل هذه فكرة خاطئة أخرى أنت مقتنع بها؟ وهي أن المرأة تعيش بانتظار العريس؟».

ـ نعم، إذا كان العريس غنياً. هل تريدين أن نناقش هذه النقطة؟

ـ بالتأكيد. إن دخلي جيد. وأملك شقة حسنة، ولدي نشاطات كثيرة وأصدقاء يملأون حياتي. أنا لا أنتظر رجلاً يأتي ليغيّر كل ذلك!

فقال بنعومة: «إلا إذا كان غنياً».

ـ هل لك أن تتخلص من هذه الفكرة؟ لقد خُدعت مرة، وهذا أمر مؤسف للغاية، لكن النساء لسن كلهن متشابهات. ألا تقلق من أن تكبر في السن وحدك؟ من دون أسرة حولك؟ لا يمكن للعمل أن يملأ حياة الإنسان كلها.

أخذ «ماثيو» يعبث بكأسه فترة، ثم أخذ جرعة كبيرة منه وردّ: «أنا لا أفكر في ذلك. عندما أصل إلى مرحلة أجد فيها أن الأسرة ضرورية، أقوم بما يلزم للحصول على أسرة».

حدّقت «كارلا» إليه لحظة. كان جاداً، وذاب قلبها من أجله. يا لها من حالة محزنة: «لا تفعل هذا، يا «ماثيو». لا تستقر مع إمرأة لا تعشقك. أنت تستحق السعادة والحب».

بدا عليه الضيق: «سأتذكر هذا».

ـ إن لم تقع في الحب بعد، فهذا لا يعني أنّ الأمر لا يمكن أن يحدث.

ـ وهل أنت على وشك ذلك؟

هزت رأسها محاولة أن تبتسم ثم قالت بحزم: «لا، شكراً. أفضّل أن أبقى خالية البال كما أنا الآن».

كان هذا جبناً منها، إذ يمكنها أن تطلعه على شعورها، رغم أنها تساءلت عما سيقوله لو أخبرته.

ـ هل أنت جاهزة لتناول الحلوى؟

ـ لا أستطيع تحضير المهلبية بالشوكولا، لكن المقهى في القرية يخبز فطائر تفاح لذيذة، كما أحضرت معها آيس كريم.

ـ يبدو هذا رائعاً.

عندما أنهيا تناول الحلوى، وشربا القهوة، كان الظلام في الخارج قد أسدل ستاره، فشغل «ماثيو» شريطاً موسيقياً.

ملأت الأنغام الناعمة الجوّ فوقف ماداً يده: «إرقصي معي يا «كارلا»».

نهضت مسرورة بالبقاء بين ذراعيه. وحملتها الموسيقى فأخذت تدور معه على الإيقاع، مسترخية آمنة بين ذراعيه. تتالت الأغاني وهما يرقصان في أنحاء غرفة الجلوس الفسيحة، وقد تاهت في عالم لا يضم سوى شخصين إثنين.

عندما انتهى الشريط، بقي ممسكاً بها: «أريد جوابك الآن، يا «كارلا». فأنا أريدك».

نظرت في عينيه ورأت الحقيقة. الإخلاص، المشاعر المحمومة والرغبة. لا أحد يعرف المستقبل. لكن «كارلا» تعلم أن أيّ قرار متهور تتخذه في لحظة انفعال عاطفي، ستندم عليه مدى حياتها.

وقالت برقة: «آسفة، لا يمكنني أن أجاريك في هذا».

فقال بصوت أجش وهو يخفي استياءه: «سأقفل الأبواب وأطفىء الأنوار».

قالت وساقاها تكادان لا تحملانها وهي تصعد السلم متجهة إلى غرفتها: «سأصعد إلى غرفتي و. . . أغير ملابسي».

في غرفتها سحبت قميص النوم الذي أحضرته معها، محاولة ألاّ تفكر، أن تتجاهل شعور الإحباط والألم الذي تملكها. خلعت كنزتها، وفي لحظة كانت جاهزة لارتداء قميص نومها الساتان.

كان هذا القيص العاجي اللون بارداً على جسدها. نظرت إلى المرآة، فأجفلت وهي ترى الألم واليأس في عينيها. بدت وكأنها مهجورة تماماً.

استدارت، أخذت نفساً عميقاً، ثم سارت إلى سريرها وارتمت عليه ثم أجهشت بالبكاء.

* * *

استند «ماثيو» إلى الجدار. لم يعد يدرك ما يفعل، إلاّ أنه يرغب في «كارلا» أكثر مما رغب في أي امرأة من قبل. كانت مختلفة عن كل من

عرفهن، فضحكتها تملأ كيانه بالدفء كأشعة الشمس. وتأوّه برقّة. هل أصيب بضربة شمس؟ كان واهناً كبعض الشعراء، تباً لهم. . .

صحبتها تبعث السرور، وهذا كل ما في الأمر. كما أنها حنونة فاهتمامها بتلك السيدة المسنّة في المعديّة ماثل اهتمامه هو. إنها وفية، عظيمة. . . ها هو يطلق عليها صفات الكلب المخلص لصاحبه. إنها. . . رائعة، جذابة، مثيرة، رشيقة، ناعمة كالحرير. أما رائحتها فتضاهي مليون زهرة. الضوء في عينيها وإشراق ابتسامتها يقهرانه. ابتلع ريقه بصعوبة وابتعد عن الجدار، نابذاً هذه الأفكار التي تزيد من عذابه.

لكنه وجد نفسه عاجزاً عن إقصائها عن تفكيره. أراد أن يلمس ذلك الشعر الحريري، يشعر بنعومة بشرتها ويعانقها كما فعل في المرج.

هل تحب أن يحتضنها؟ كان الظلام سائداً في الخارج، لكن النجوم تتألق في كبد السماء. لم يشعل النور، واكتفى بالاستلقاء على سريره ليحلم بها بين ذراعيه.

* * *

تصاعدت رائحة القهوة ببطء. وتقلّبت كارلا في السرير ثم قطبت. قهوة؟ وفتحت عينيها. كانت الغرفة غير مألوفة. ثم أدركت أين هي.

ورنّ الهاتف.

انتصبت جالسة وقد عاودتها ذكرى الأمس. هل هو غاضب؟ هل بلغ به الاستياء من موقفها حدّ مجافاتها اليوم؟

ورنّ الهاتف للمرة الثانية. . . هل هذا هاتفها؟ لكن السماعة رفعت. نظرت إلى الساعة قرب السرير. كانت تشير إلى السابعة فقط. لم تتأخر في النوم. نزلت عن السرير واختطفت بسرعة بعض الملابس ثم دخلت الحمام.

جلست على حافة سريرها. ماذا ستفعل؟ الليلة الماضية خذلته. لكنها لم تشعر بأي ندم على قرارها. فهل عليها أن تنزل إلى الطابق السفلي وتحييه كصديق؟ أم تنتظر حتى ترى كيف سيتصرف؟ هل عليها أن تبقى في

غرفتها؟ أم أنه سيسرّ لرؤيتها؟

بإمكانهما أن يخرجا للتنزّه مرة أخرى. وربما يتناولان الغداء في المقهى قبل أن يعودا إلى «ڤانكوڤر». مسحت راحتيها على بنطلونها، مدركة أنّ عليها أن تنزل إلى المطبخ، لكنها لم ترغب في أن تتحرك.

طرق «ماثيو» بابها: «كارلا؟ هل ارتديت ثيابك؟ عليّ أن أعود إلى «ڤانكوڤر»».

بدت العجلة في صوته. ففتحت الباب: «ماذا حدث؟».

ـ تواجه شركتي في «تورنتو» مشكلة كبيرة. يجب أن أعود إلى مكتبي، وقد أضطر للعودة بالطائرة إلى تورنتو إذا لم أستطع تصحيح الوضع من هنا. آسف لاختصار هذه العطلة الأسبوعية. لكن يجب أن أعود إلى «ڤانكوڤر» في أسرع وقت ممكن.

فقالت وهي تركض لتحزم حقيبتها: «سأكون جاهزة على الفور».

أمسك بذراعيها يوقفها، ثم أدارها نحوه برفق: «لم يكن هذا ما خططت له».

ـ لا بأس. أنا أفهم متطلبات العمل. سأكون جاهزة خلال خمس دقائق.

قال قبل أن يتجه إلى غرفته: «القهوة جاهزة. تناولي فنجاناً قبل أن تذهب».

خطر لها أنّ إرباك هذا الصباح خفّ الآن، على الأقل. وضعت بنطلونها وكنزتها في الحقيبة التي استعارتها من «باث». لم تشأ أن تجازف فيلاحظ أنّ حقيبتها هي حقيبة «جانيت» نفسها. وضعت حقيبتها قرب الباب الأمامي ثم دخلت المطبخ لتشرب فنجان القهوة. سوف تأكل عندما تعود إلى بيتها. وتزايدت خيبة أملها من هذه العطلة.

كان يوم أمس جميلاً، فقد استمتعا بوقتهما معاً بعد الظهر، أما الآن فظهر العمل ليحتل الأولوية. وخطرت لها فكرة. هل سيحتاج «ماثيو» إلى «جانيت» لكي تساعده؟ رباه، لعله اتصل الآن لكي يطلب منها موافاته إلى

المكتب!

سكبت فنجان القهوة بيدين ترتجفان. لا يمكنها الذهاب إلى المكتب اليوم، خاصة بعد ما حصل أو لم يحصل الليلة الماضية. إذا ترك رسالة على المجيب الصوتي، فلن تجيب وستختلق عذراً صباح غد.

ـ جاهزة؟

ـ نعم.

أنهت شرب القهوة وغسلت الفنجان فيما عمد هو إلى غسل الآلة بالماء. وبعد نظرة وداعية حولهما، توجها إلى الطائرة. وسرعان ما أقلعت الطائرة لتحملهما إلى «ڤانكوڤر».

* * *

٩ ـ وسقطت الأقنعة

حدّقت «كارلا» من النافذة إلى البحر، حيث الجزر الصغيرة المتناثرة على صفحة المياه، وقد تملّكها خليط من المشاعر. أغمضت عينيها وراحت تحلم بـ «ماثيو». حبها له من القوة بحيث راحت تتساءل عما إذا كان بإمكانها أن تنسى هذا الرجل يوماً. كانت تعلم أنّ ذكريات اللحظات التي أمضياها معاً ستبقى ذكرى غير عادية، وأنّ الحب الذي تحمله في قلبها انحفر فيه بحيث لن يمحى أبداً... لن تنسى هذا الرجل أبداً حتى وإن رحل... ستبقى المشاعر الصادقة التي تكنّها له في نفسها إلى الأبد!

ـ أنت هادئة اليوم. أحزينة أنت؟

فتحت عينيها ونظرت إليه مباشرة: «أبداً... وأنت؟».

ـ يؤسفني أن نضطر لاختصار العطلة. علينا أن نعود مرة أخرى.

أومأت وهي تبتسم بحرارة: «أحب أن أرى المرج مرة أخرى. لكن قبل ذلك سأمارس الرياضة حتى لا أتعرض لنوبة قلبية في صعودي إليه».

أومأ برأسه وهو يأخذ يدها ليربح أصابعهما المتشابكة على فخذه الصلب: «أقدّر لك عدم إظهار الغضب بسبب ما آلت إليه عطلتنا».

ـ أنا أفهم متطلبات العمل، يا «ماثيو».

من أي نوع كانت النساء اللواتي عرفهن ليصبن بنوبة غضب كلما حدثت أزمة؟

ـ أرجو أن تحل الأزمة في شركتك بسهولة.

ـ سنرى. سأحتاج لمعرفة كل الحقائق قبل اتخاذ أي إجراء.

لاحظت أنه عاد تقريباً إلى تفكيره العملي. أخذت تحدّق إلى النافذة، شاعرة بأنها أصبحت منبوذة، ومع ذلك ما زالت يداهما متشابكتين. كانت

يده دافئة حازمة. أخذ يلامس يدها بإبهامه، شارد الذهن فسرى في كيانها شعور بالبهجة. تمنت لو أن المشكلة في العمل لم تحدث، وشعرت بإحباط عميق لأنها لم تتمكن من التحدّث إليه عن موقفها ليلة أمس.

عندما هبطا في ڤانكوڤر، حملت حقيبتها الصغيرة وسارت بجانبه: «سآخذ سيارة أجرة بينما تذهب أنت إلى عملك مباشرة».

ـ سأوصلك بنفسي.

ـ لا داعي لذلك. أعلم أنك بحاجة إلى البدء بالعمل على تلك المشكلة.

ثم سكتت ونظرت إليه: «أمضيت وقتاً رائعاً».

فابتسم: «تبدين كفتاة صغيرة مؤدبة».

ـ تلقيت تربية جيدة وأنا مؤدبة فعلاً. وصادقة... لقد أمضيت وقتاً رائعاً.

لامس خدها بأصابعه. وكانت يده دافئة وصلبة: «لا أريد أن تكون هذه عطلتنا الأسبوعية الوحيدة».

ابتسمت وأومأت، من دون أن تتكلم. كم من العطلات يمكنهما أن يمضيا معاً؟ وتملكها شعور آخر بالذنب. قبل أن ترافقه مرة أخرى، ستطلعه على الحقيقة كاملة. ليس إنصافاً لماثيو أو لها أن يستمرا على هذا الحال، وتصحيح الأمور يعود لها وحدها.

وعانقها بحنان: «سأتصل بك».

ـ لا بأس.

أشار إلى سيارة أجرة فصعدت إليها ثم ناول السائق أوراقاً نقدية. وعندما انطلقت السيارة نظرت إليه من النافذة الخلفية، فرأته يسير باتجاه مبنى الشركة بخطوات واسعة. العمل أولاً.

* * *

عندما وصلت «كارلا» إلى مكتبها صباح الإثنين، كان «ماثيو» يجري اتصالاً هاتفياً. لوّحت له بيدها من الباب ثم سارت إلى مكتبها. وبعد قليل

وصلت «ليزا»، ثم سمعتها «كارلا» تبدأ بالعمل.

أخذت «كارلا» تراجع الأمور التي تركتها من الأسبوع الماضي وعينها على الهاتف. حالما ينتهي «ماثيو»، ستذهب إليه لبدء جلستهما الصباحية المعتادة. كانت متلهفة لمعرفة ما حدث في «تورنتو»، وعما إذا بإمكانها المساعدة.

لكن الدقائق مرت وما زال يتحدث على الهاتف. هل للمكالمة علاقة بالمشكلة في «تورنتو»؟ لا بد أن الأمر كذلك.

عندما رن هاتف «كارلا» في منتصف الصباح، ردت عليه ببساطة. وإذا بصوت لا تعرفه يسألها: «هل أنت موافقة على تقديم خدمة صغيرة لي؟».

ـ هل أنت صاحبة تلك الرسائل المجهولة المصدر؟

ـ أنا أعرفك وأعرف ما تفعلينه للإثارة ولفت الأنظار. لكن إذا ساعدتني، فلن أضطر إلى كشفك.

ـ ماذا تريدين؟

ـ الوظيفة الشاغرة في «قسم الدراسات الإنسانية».

ـ وظيفة «باث»؟

ـ نعم. وضعوا في اعتبارهم موظفتين أخريين. لكني واثقة أن بضع كلمات طيبة منك ستجعل السيد «ماثيو غرافيلين» يساندني. من الأفضل أن تتأكدي من أنه سيفعل ذلك.

ـ من أنت؟

شعرت بتردد في طرف الخط الآخر. وأخيراً قالت المرأة: ««أليس ساور». أمضيت هنا ستة أعوام. وقد حان وقت ترقيتي لأصبح رئيسة قسم. تدبري الأمر وأعدك بالسكوت».

أقفلت الخط فوضعت «كارلا» السماعة وهي تنظر حولها شاعرة بالذنب. كان «ماثيو» لا يزال يتكلم على الهاتف، ومن صوت الطباعة في المكتب الآخر بدا أن «ليزا» مشغولة تماماً. وبسرعة، طلبت «كارلا» رقم

www.elromansia.com

«بات».

ـ هالو؟

ـ «بات»، أنا «كارلا».

ـ لماذا تتصلين بي في مثل هذا الوقت؟ هل الرئيس خارج المكتب؟ من حسن حظك أنني في البيت. سنغامر أنا و«بريتاني» بالخروج اليوم، لأول مرة، لنرى الطبيب. فهي ضئيلة الحجم و. . . .

ـ أريد بعض المعلومات يا «بات» ولا أستطيع التحدث طويلاً.

ـ لا بأس.

ـ أتعرفين موظفة باسم «أليس ساور»؟

ـ طبعاً، عملت معي عندما كنت أعمل في «كنسنجر». لماذا تسأليني؟

ـ إنها تريد وظيفتك.

فضحكت «بات»: «نعم، أرادت ترقية منذ أول يوم لها في العمل تقريباً. المشكلة هي أنها لا تستوعب شيئاً. لا بأس بها في تنظيم الملفّات وبعض الأعمال البسيطة، لكن حاولي أن تشرحي لها فائدة الإجراءات أو حق التقاعد أو قانون العمل العام، فترين أنك تتحدثين إلى حائط».

ـ تظن أن بإمكانها أن تكون رئيسة «قسم الدراسات الإنسانية».

ـ إنها حمقاء للغاية. لكن ما شأنك بها؟

ـ إنها تعرف أنني لست في الخمسين من عمري، وهي تهدّد بفضحي إلا إذا ساعدتها للحصول على المنصب. ويبدو أنها تظن أنني أستطيع التأثير على «ماثيو».

ـ آه، يا «كارلا»، هذا مؤسف حقاً. إذا حاولت استخدام الابتزاز، فلا يمكن أن تكون محل ثقة في القسم.

ـ هل تظنين أني سأزكيها لهذا العمل؟

ـ لا، انتظري لحظة، فأنا أفكر. أظنها عرفت عمرك من ملفك الشخصي، فهي تنظّم ملفاتنا. ظننتها من السأم بحيث لا تقرأ طلبات العمل لدينا، ولكن يُفترض أن تكون مؤتمنة على أوراق كهذه.

ـ حسناً، إنها تهدد بأن تفضحني. لكن ربما لن تفعل. . . لعل هذا كله خداع. على أيّ حال، فكرت في أن أتشاور معك. علني أجد طريقة لأخبر «ماثيو» الحقيقة قبل أن تنفذ تهديدها.

ـ «كارلا»، لا أستطيع أن أصدق أنك انتظرت طوال هذه المدة. سيجن جنونه عندما تخبرينه.

ـ ربما أنت على حق. أرجو فقط أن يصغي إليّ بعقل منفتح. كنت ممتازة في العمل، وهو لا يستطيع إنكار ذلك. تباً لهذا التوقيت السيء! فأنا أريده أن يوقّع العقد مع «بيرسيل غروب» أولاً.

ـ إتصلي بي عندما تهدأ الأمور واعلميني بما جرى.

ـ لا بأس، قبّلي الطفلة عني.

وأقفلت الخط.

والآن ماذا؟ هل تتحدث إلى «ماثيو» لكي تفسد خطة «أليس»؟ أم عليها أن تتحدث إلى المرأة مرة أخرى؟

وقف «ماثيو» عند باب مكتبه: «جانيت، اتصلي بالسيد «تايلور» واعلمي منه إذا ما كانوا قد قرروا قبول العرض. إذا وافقوا، فاتفقي معهم على عقد اجتماع صباح الغد إذا كان ذلك يناسبهم، ثم احجزي لي على الطائرة المتوجهة إلى تورنتو بعد ظهر الغد. سأعود يوم الأحد. ألغي كل المشاريع المقررة لبقية أيام الأسبوع».

ـ هل عليك أن تذهب إذن؟

فأومأ: «هل سمعت بالأمر؟».

حوّلت كارلا نظراتها عنه. لقد نسيت أن سكرتيرته لا تعرف بالأمر، وأن التي علمت بالقضية هي المرأة التي قضت معه العطلة الأسبوعية.

ـ من «كارلا».

ـ سأحتاج إلى سيارة وإلى مكان قريب من المكتب أمكث فيه.

واستدار عائداً إلى مكتبه قبل أن تسأله عن إمكانية مراجعة بعض الأمور معه. وعاد إلى الهاتف.

www.elromancia.com

اتصلت بالسيد «تايلور»، لكنها لم تجده. فتركت له رسالة، ثم دوّنت أمامها ملاحظة لكي تعاود الاتصال به إذا لم يتصل.

وطوال فترة الصباح، أخذت «كارلا» تتحيّن الفرصة لتتحدث إلى «ماثيو»، لكنه بقي مشغولاً للغاية. تدفقت الرسائل عبر الفاكس في مكتب «ليزا»، وعلمت «كارلا» أنّ «ماثيو» على اتصال مباشر بمكتبه في «تورنتو»، ومع سماعة الهاتف الملتصقة بأذنه باستمرار، بدا غائباً عن أي شيء آخر يحيط به.

تناولت الغداء في وقت متأخر ثم عادت إلى مكتبها لتجد «ليزا» في مكتبها فيما غادر «ماثيو».

قالت «ليزا»: «خرج السيد «غرافيلين» ليأكل، وقد طبعت معظم الأوراق التي يريدها. لكنه أعطاني شريطي تسجيل لأطبع محتواهما بعد ظهر اليوم. لذا لا أستطيع العمل على المشروع الآخر».

ـ إنه يعرف أولوياته، فلا تقلقي بشأن المشروع الآخر.

دخلت إلى مكتبها ثم توقّفت، إذ وجدت امرأة شابة في حوالى الثلاثين جالسة على الكرسي. حملقت هذه الأخيرة في «كارلا» بوقاحة.

بادرتها «كارلا»: «أظنك «أليس»؟».

وتساءلت عما إذا كان عليها أن تغلق الباب الفاصل بينها وبين ليزا. لم تفعل ذلك من قبل قط، فهل سيلفت تصرفها هذا الانتباه؟ هل ستسمع ليزا شيئاً إذا بقي الباب مفتوحاً؟ كان صوت الآلة الكاتبة يتكتك خلفها، فأملت أن تكون ليزا مشغولة جداً بشريطيها.

قالت «أليس» وهي تقف: «يمكنني أن أرى سبب انخداعه».

لم تكن «أليس» طويلة، بدا مظهرها عادياً. وتابعت تقول: «هل ستخبرينه أنني أفضل من يشغل تلك الوظيفة؟».

فردّت «كارلا»: «لا يمكنني أن أفعل ذلك. تكلمت إلى «باث كارنس» بعد اتصالك بي فقالت لي إنك لست مؤهلة».

ـ لقد شغلت تلك الوظيفة مدة ست سنوات! وأنا أعرف كل ما يدور

حولي هنا. وقد كشفتك، أليس كذلك؟

ـ الوظيفة تتطلب أكثر من هذا. ماذا عن جدول الرواتب ونظامه، وقانون العمل، والتعويضات وغير ذلك؟

ـ القسم مليء بالموظفين وكل منهم متخصص بناحية معينة. أنا سأكون المديرة ولست بحاجة إلى معرفة كل هذا، فهذا عملهم هم! أريد تلك الوظيفة ويمكنك أن تساعديني في الحصول عليها.

ـ لا، لا أستطيع. حتى لو اعتقدت أن تزكيتي لك ستأتي بفائدة، لا أستطيع القيام بها، لأنها ليست صواباً.

ـ وما تفعلينه أنت ليس صواباً. إنه كذب وخداع وخطأ. لكنك استمريت في ذلك. لماذا تقفين في طريقي؟ أنا أريد هذه الوظيفة!

وكانت «أليس» تصرخ تقريباً.

رأت «كارلا» ساخرة أن هذا يضيف إلى مزايا تلك المرأة الشخصية الانفعالية والعدائية.

ـ اصمتي... الصراخ لن يغيّر شيئاً.

ـ سأصرخ متى شئت. من الأفضل لك أن تساعديني أو أخبر «غرافيلين» الحقيقة.

ـ وما هي الحقيقة؟

طرح «ماثيو» هذا السؤال من على الباب، فيما وقفت ليزا خلفه تتفرج على ما يجري مذهولة.

استدارت «كارلا» برعب. ما الذي سمعه بالضبط؟ وحملقت «أليس» فيه. فقال: «ربما بإمكاننا أن نكمل هذا الحديث في مكتبي، فقد سمعت الصراخ من المصعد».

شرعت «كارلا» تقول: «يمكنني أن أشرح الأمر..».

فقاطعتها «أليس»: «أنا سأقدّم شرحي الخاص».

ـ إلى مكتبي، أنتما الإثنتان.

كانت لهجته حازمة للغاية. انتظر حتى تقدّمته المرأتان، ثم تبعهما

وأغلق الباب. وقف جانباً وشبك ذراعيه على صدره ثم أخذ ينقّل نظره بين الواحدة والأخرى. بعدئذٍ، قال لأليس: «أنا لا أعرفك».

فقالت وهي تحدّق إلى «كارلا» بحقد: ««أليس ساور»، من قسم «الدراسات الإنسانية»».

ـ ما هي المشكلة؟

ـ ما كانت أي مشكلة لتحدث لو أن الآنسة «جونز» زكتني لمركز رئيسة القسم.

ـ الشاغر في قسم «الدراسات الإنسانية»؟

فأومأت «أليس» إيجاباً. ولم تستطع «كارلا» إلا أن تقف حابسة أنفاسها وقد تملكها الرعب من الوضع الذي سينفجر إذا لم تلتزم «أليس» الصمت.

ـ أما من سبل تتبعينها لتقديم طلب؟ لماذا قصدت مساعدتي الخاصة؟

فتمتمت تقول: «إنها مدينة لي بذلك».

قالت «كارلا»: «لا. هذا غير صحيح».

فقال «ماثيو»: «لماذا هي مدينة لك؟».

نظرت «أليس» إلى «كارلا» وسألتها: «هل ستزكيني؟».

وللحظة، تمنت «كارلا» لو أنها تستطيع ذلك. تمنت لو أن بإمكانها أن تفعل شيئاً يوقف هذا الطوفان الذي يهدّدها.

وببطء، هزت رأسها: «لا يمكنني أن أفعل هذا».

ونقّلت «أليس» نظراتها بين «كارلا» و«ماثيو»: «هذه المرأة مدّعية. ولا أدري كيف خدعتك طوال هذا الوقت، لكنها ليست في الخمسين من عمرها. شعر أبيض مستعار، ماكياج مسرحي، ملابس فضفاضة، لكنها ليست من تظن».

ملامحها الظافرة جعلت «كارلا» ترغب في صفعها. لقد فعلتها... أخبرت «ماثيو». ونظر «ماثيو» إلى «كارلا».

تقابلت نظراتهما، فأجفلت من الغضب الذي رأته في عينيه. تقدّم إلى

الأمام ونظر إلى شعرها الأبيض، ثم مدّ يده ونزع الشعر المستعار عن رأسها. فقالت بسرعة: «يمكنني توضيح المسألة».

انتزع النظارات عن عينيها ثم ألقى بها على المكتب.

ـ «كارلا جونز» وليس «جانيت».

كانت البرودة الثلجية على ملامحه مفزعة.

ـ إذا استمعت إلي لحظة، فيمكنني تفسير الأمر.

ـ لا حاجة للتفسير، خاصة منك. ولا أحتاج لتفسير منك أنت أيضاً، يا آنسة «ساور».

وفتح الباب: «ليزا»؟

ظهرت ليزا على الفور: «نعم يا سيدي».

ـ استدعي الحارس ليصحب هاتين المرأتين إلى خارج مبنى الشركة.

وصرخت «كارلا» برعب: «لا، يا «ماثيو»!».

ثم أضافت: «دعني أفسر الأمر».

ـ منذ هذه اللحظة، أنتما لا تعملان في شركة «كنسنجر غروب». أنتما مطرودتان.

* * *

أغلق «ماثيو» الباب خلف هذا الرحيل غير المتوقّع، شاعراً بغضب بالغ. سار إلى المكتب واختطف الشعر المستعار، ثم كوّره ورماه إلى آخر الحجرة. كان يغلي غضباً!

سار إلى النافذة، آملاً أن يخفف عنه منظر البحر، لكنه ما زال يشعر بالصدمة لهذا الاكتشاف.

«جانيت» هي «كارلا». والعكس بالعكس.

امرأة في قسم «الدراسات الإنسانية» حاولت أن تبتزها لتظفر بترقية. رباه، يا له من موقف! شيء لا يُصدق.

كيف استطاعت أن تفعل هذا؟ كيف لم يكتشف خداعها؟

www.elromancia.com

وتساءل عما أغضبه أكثر . . . ألأنها نجحت في خداعه، أم لأنه وثق في جانيت؟ وسمع نقراً خفيفاً على بابه: «نعم؟».

والتفت إلى «ليزا» التي أطلت برأسها: «ثمة اتصال للآنسة «جونز». لا أعرف إن كان عليّ أن آخذ المكالمة أم لا».

ـ من المتصل؟

ـ لا أدري. سأسأل.

ـ لا بأس سأردّ أنا على الإتصال.

ومدّ يده إلى الهاتف فيما أغلقت هي الباب. لم يلاحظ مدى جين «ليزا» من قبل. لكنها كانت تعمل مع «جانيت». . . «كارلا»، ما يجعلها قادرة على إدارة الأمور بسهولة مثلها.

ـ «غرافيلين».

ـ مرحباً، يا «ماثيو». أنا «إيفلين تايلور». حاولت الإتصال بالآنسة «جونز» فقد اتصلت من قبل بشأن عقد إجتماع آخر.

ـ الآنسة «جونز» لم تعد تعمل في الشركة. وأنا سأغيب عن المدينة لإنهاء بعض الأعمال هذا الأسبوع، لكنني أريد أن تستقر على شيء معك ومع «ريتشارد» قبل رحيلي. . . فهل من جوانب أخرى من عرضنا تريدان السؤال عنها قبل توقيع العقد؟

فسألته: «وماذا حدث للآنسة «جونز»؟».

عبس ونظر إلى النافذة، راجياً ألاّ يظهر الغضب في لهجته: «طُردت اليوم».

ساد الصمت لحظة ثم عادت تسأله: «هل طردتها؟».

لم يصدق ذلك هو نفسه. وفرك جبينه مجيباً: «نعم».

وما شأن زبون بمشكلة تحدث بين الموظفين في شركته؟ لكن لا يمكنه أن يقول لها إن ذلك ليس من شأنها: «تبين أن الآنسة «جونز» ليست كما كانت تدّعي. فهي ليست في الخمسين من عمرها، بل في الخامسة والعشرين تقريباً».

ـ إذاً؟

ـ وظّفت امرأة ناضجة، فحصلت على دجّالة.

سألته «إيفلين» بفضول واضح: «ما سبب انتحالها تلك الشخصية؟».

ـ لا أدري.

ـ بماذا فسّرت الأمر؟

ـ ما من تفسير. لم أشأ أن أسمع حكاية غير قابلة للتصديق لمجرد تخفيف ذنبها وإصلاح الخراب الذي حصل. ما أن اكتشفت الخداع، حتى أصبحت في خبر كان.

فقالت «إيفلين» بصوت بالغ البرودة: «هل طردتها على الفور من دون أن تمنحها فرصة لشرح موقفها؟».

ـ بالضبط.

لماذا بدا قراره ضعيفاً بعد سماعه هذا من «إيفلين»؟ إنه حازم في العادة، وحين يصمم على شيء، لا يراجعه مرة ثانية أو يعود عنه.

ـ فهمت.

ـ كما سبق وقلت، عليّ أن أغادر المدينة غداً، لكنني أودّ أن أعقد اجتماعاً معك ومع «ريتشارد» قبل ذلك. وإذا كان الأمر غير ممكن، فما رأيك بعقد الاجتماع يوم الإثنين القادم؟

بقيت صامتة لحظة، ثم عادت تقول: «سأتحدث إلى «ريتشارد» ونتصل بك. وداعاً».

ثم أقفلت الخط.

فتح الباب ونادى «ليزا»، فهرعت إليه وقد بدا عليها الاضطراب، كما يبدو غالباً على سكرتيرته في تورنتو.

كلاهما يفتقر إلى سلوك «جانيت». . . «كارلا» الهادىء على الدوام.

ـ استدعي رئيس قسم «الدراسات الإنسانية» إلى هنا لندرس الوضع. تأكدي من حجزي في الطائرة والفندق. سأسافر غداً بعد الظهر إلى «تورنتو» وينبغي أن أحصل على تذكرة مفتوحة لأتمكن من العودة حين

أشاء. حضّري لي النسخة الأخيرة من مشروع «تايلور» لآخذه معي.

فقالت وقد بدت مصعوقة خوفاً: «حسناً، لكن أين ملف مشروع «تايلور»؟».

- إبحثي عنه على مكتب الآنسة «جونز».

أخذ ينظر إليها برهة وهي تقلب كومة الملفات التي وضعتها كارلا على مكتبها. وبعد أن فرغ صبره، بحث بنفسه عن الملف فوجده في ثانية واحدة.

- آسفة. سأتصل بقسم الدراسات.

وهربت إلى مكتبها.

أدرك أن فترة بعد الظهر ستكون شاقة. وللحظة، أخذ يتساءل عن سبب تصرفه المندفع ذاك. لكن رؤية النظارات على مكتبه قوّت عزيمته. لقد جعلته يبدو أحمق... في المكتب وفي حياتهما الخاصة. ولن ينسى ذلك أبداً.

* * *

بعد ظهر يوم الإثنين التالي، دخلت «كارلا» شقتها أكثر تعباً مما كانت عليه منذ أسبوعين بعد المقابلة في شركة «كنسنجر». مقابلات العمل شاقة للغاية. نزعت حذاءها من قدميها ثم سارت حافية إلى المطبخ لتحضر كأس ماء. رفضت أن تشعر بالإحباط. لم يمضِ على تركها العمل سوى أيام معدودات، وقد أمضت اليوم الأول طبعاً في ذرف الدموع. غضبت لأن «ماثيو» لم يدعها تشرح موقفها، وتكدّرت وحزنت لأنه تركها تذهب. وعند عودتها إلى غرفة الجلوس نظرت إلى المجيب الآلي، فرأت الزر مضاءً يشير إلى وجود رسالة.

لعل هذه المكالمة هي الرد على مقابلة العمل التي أجرتها يوم الجمعة. فقد سارت تلك المقابلة على ما يرام. ضغطت على الزر ثم حبست أنفاسها عندما سمعت صوتاً مألوفاً.

(«كارلا» أنا «ماثيو غرافيلين». إتصلي بي.)

وتلتها رسالة ثانية («كارلا». هنا «غرافيلين» إتصلي بي. أنا في المكتب.)

وثالثة («كارلا». أين أنت بحق الله. إتصلي بي).

وردت المكالمات الثلاثة منذ التاسعة هذا الصباح.

حسناً، هذا مدهش... أخذت تتمتم بهذه الكلمات وهي تسير إلى الأريكة وتجلس عليها وتشرب المزيد من الماء. لقد طردها الأسبوع الماضي من دون أن يمنحها فرصة لتشرح له الوضع، وها هو يتصل بها الآن ويأمرها تقريباً بأن تتصل به. ألم يدرك بعد أنه لم يعد رئيسها؟

ماذا حدث الآن، يا سيد «غرافيلين»، حتى تتصل بي؟ هل غيّرت رأيك وتريد أن تصغي إليّ؟ هل افتقدت مساعدتك الخاصة؟

أخذت «كارلا» تحدق إلى المجيب الآلي وكأنما باستطاعته أن يعطيها الجواب الشافي عن أسئلتها.

يمكنها أن تتصل وتعرف ما يريد. ولكن هل هي مستعدة لذلك؟ واغرورقت عيناها بالدموع فغالبتها. إنه قاسٍ للغاية ولا يمكن التفاهم معه. إنه منصف مع الآخرين، فلماذا لم يكن منصفاً معها؟

وراحت تحدّث نفسها: يمكنك أن تنتظر طويلاً يا سيد «غرافيلين»... حتى أصبح مستعدة للتحدث إليك، أو حتى تتجمد جهنم.

نهضت وسارت إلى غرفتها لتبدّل ملابسها.

رن جرس الهاتف فانتفض قلب «كارلا»، لكنها بقيت في غرفتها وهي تصغي إلى الجهاز مرهقة الأعصاب.

(«كارلا»، هنا «غرافيلين». إتصلي بي حين تعودين إلى شقتك).

كان في صوته فروغ صبر أكيد، كما لاحظت ساخرة. اعتاد رئيس شركة «كنسنجر الكترونيك» أن يهرع الناس لتلبية أوامره. وكادت تضحك. لم يعجبه أن يبقى منتظراً.

قالت لنفسها وهي تعود إلى غرفة الجلوس لتمحو الرسائل المسجلة

في الجهاز: (وأنا أحب أن أطرد كما فعلت بي. كان عليك أن تمنحني فرصة لأشرح لك الأمر).

وفي المطبخ، حاولت أن تقرر ماذا تعد للعشاء. غداً صباحاً لديها مقابلة عمل أخرى، وعليها أن تنام باكراً. وهذا لا يعني أنها ستتمكن من النوم، لكن يجب أن تحاول.

خلال السهرة، اتصل «ماثيو» مرتين. وفي المرة الأخيرة تغيّرت لهجته. («كارلا»، أعلم أنك في البيت الآن. إرفعي السماعة... أرجوك).

كانت تعلم أن كلمة (أرجوك) صدرت عنه بعد تفكير. وعندما تردّدت، سمعته يتابع (أريد مساعدتك في مشروع «بيرسيل غروب»).

فرفعت السماعة وقالت: «إذن، بما أنك تريد مساعدتي في أحد المشاريع، هل عليّ أن أنسى كيف عاملتني في الأسبوع الماضي وأسارع لمساعدتك؟».

سمعته يأخذ نفساً عميقاً وكأنه يحاول أن يستلهم الصبر: ««إيفلين تايلر» ترى أنني إذا كنت من القسوة بحيث أرفض سماع أي شرح، فأنا لست من نوع رجال الأعمال الذي يريدان التعامل معه. هذه الصفقة هامة وتظهر للموظفين أننا سنغيّر الأمور ونتقدم إلى الأمام. لقد عملنا جاهدين من أجل هذا المشروع وأريده أن ينتهي على أحسن وجه».

هكذا إذن؟

ـ ولهذا أريد عونك. لقد وافقوا على عقد اجتماع آخر لكي ينهوا المسألة... شرط أن تكوني موجودة... أنت مدينة لي بهذا.

ـ أنت تمزح.

ـ لا، تباً، لست أمزح.

كادت تشعر بالغضب يتفجّر من جوابه. لكنها لا تدين له بشيء.

ـ لكن كيف سيساعدك وجودي هناك؟

ـ سيريهم أنني مرن، وأن الشركة سترد على اهتماماتهم بشكل سريع.

إنها ترفض الحضور ما لم تكوني موجودة.

أخذت «كارلا» تتساءل للحظة عن سبب اهتمام «إيفلين». وقالت: «سأفكر في ذلك بشرط واحد».

ـ وما هو؟

ـ أن تمنحني فرصة أشرح فيها الحقيقة وتصغي إليّ أنت بشكل حقيقي.

ـ بعد توقيع الاتفاقية.

وكان هذا ما قررته هي أيضاً من قبل.

ـ لا، بعد الاجتماع... سواء فشل أو نجح أو طال.

لم تشأ أن تطرد مرة ثانية.

ـ اتفقنا. هل يمكنك أن تكوني هنا عند الساعة العاشرة صباحاً؟

ـ هل هذا موعد الاجتماع؟

ـ نعم.

ستضطر لأن تؤجل مقابلة العمل. لكنها ستحصل على الفرصة التي حلمت بها لكي تخبر «ماثيو» لماذا ادعت أنها في الخمسين من عمرها. فقالت: «لا بأس. سأكون هناك في العاشرة، لكنني أنبهك إلى أنني قادمة بصفتي «كارلا». فأنت ما زلت تحتفظ بالشعر المستعار الأشيب».

ـ ألقيته في سلة المهملات.

عظيم، ها هي مدينة الآن لصديقتها «بولي» بثمن الشعر المستعار. قد تطلب من «ماثيو» أن يدفع ثمنه.

رباه! لا بد أن فكرة رؤيته مرة أخرى أفقدتها صوابها، فما من شيء في العالم سيجبره على دفع ثمن الشعر المستعار. وستكون محظوظة إذا منحها خمس دقائق من وقته لتشرح له الحقيقة. لكن، هل سيغيّر ذلك شيئاً؟ هل سيعيدها إلى العمل مرة أخرى؟ هل سيدعوها إلى العشاء ذات ليلة؟

ـ سأكون هناك في العاشرة.

وأقفلت الخط قبل أن يجيب.

إذن، «ماثيو» بحاجة إليها لكي ينهي صفقة «بيرسيل غروب». ما الذي تهدف إليه السيدة «تايلر»؟

* * *

في الصباح التالي وقبل الساعة العاشرة، كانت «كارلا» تضغط زر المصعد. تمنت لو أنها استمعت إلى نصيحة «باث» أثناء ذلك الغداء المصيري منذ أسابيع، ولم تعتبر أن القدر وضع في طريقها وظيفة المساعدة الخاصة الشاغرة. بعدئذٍ، لو قابلت «ماثيو» في المسرح، لاعتبرت الأمر قضاء وقدراً. وعندما أخذ قلبها يخفق لهفة لرؤيته، أدركت أن مشاعرها نحوه لم تتغيّر.

عندما وصل المصعد إلى الطابق الخامس، كانت «ليزا» تنتظرها. وحيّتها بارتياح: «آنسة «جونز»، كم أنا مسرورة لحضورك. كان فظيعاً ومتطلباً للغاية. لم أستطع أن أجد شيئاً مما يطلبه! يسرّني أن أقوم بأعمال الطباعة كلها، فأنت لطالما توليت الأمور الأخرى».

تقدّمت «ليزا» «كارلا» إلى مكتبها، وهي تتكلم بسرعة، وكأنها تريد أن تلقي بكل ما أثقل كاهلها في هذه الفترة القصيرة. قالت «كارلا» وقلبها يخفق ألماً لرؤية مكتبها: «إبذلي جهدك. لا بد أنه يجري مقابلات عمل ليحضر بديلة لي».

كانت تحلم برؤية «ماثيو» لسنوات أثناء العمل، لأنها تعلم أن أيّ علاقة شخصية طويلة الأمد معه، أمر مستحيل. وأجابت «ليزا»: «لم يجرِ أيّ مقابلة بعد، فقد كان في تورنتو حتى الأمس. لكنني أستطيع أن أخبركِ أن يوماً آخر كيوم أمس، وأصبح أنا في ذمة التاريخ».

وإذا بماثيو يفتح باب مكتبه، فأطلقت «ليزا» صرخة قصيرة وهربت بعيداً. نظر إليها، ومن ثم إلى «كارلا». وانتقلت نظراته من شعرها القصير الأنيق، إلى ثوبها الكحلي الضيق المناسب للعمل، وإن يكن لا يشبه ملابس «الآنسة جونز» الرصينة.

ـ لعلها تجيد الطباعة، لكنها لا تستطيع القيام بأيّ عمل آخر.

ـ وظفناها لهذه الغاية فقط.

أخذت نفساً عميقاً في محاولة منها لتهدئة أعصابها. بدا لها متعباً وكأنه لم ينم منذ أيام، فاعتصر الألم قلبها.

سألته: «كيف الحال في «تورنتو»؟».

فتوترت أساريره: «هذا ليس من شأنك».

كان عليها أن تتوقع هذا الرد. وضعت حقيبة يدها على المكتب ثم واجهته: «وما الذي تريدني أن أفعله أثناء هذا الاجتماع؟».

حكّ رقبته وقال: «لا أدري. تظاهري بأنك عدت للعمل هنا. أخبري السيدة «تايلور» أننا سوّينا الأمور بيننا وأنني مرن وقد أصغيت إلى تفسيرك لما حصل».

ـ أتعني أن أكذب عليها؟

فحملق فيها: «ولِمَ لا؟ أنت ماهرة في ذلك؟».

رفعت ذقنها وردّت: «أنا لم أكذب عليك قط. كل ما قلته كان صحيحاً. راجع الطلب الذي تقدّمت به للحصول على وظيفة».

ـ قلت إن الآنسة «جونز» هي عمتك.

هزت رأسها وأجابت: «لا. أنت الذي قلت هذا وأنا لم أصححه».

ـ هذه براعة في تحويل الأمور لمصلحتك، وهو ليس الموضوع الذي عليّ أن أعالجه أولاً. قضية «بيرسيل غروب» تحتل الأولوية.

فقالت بحزم: «لكننا سنتحدث في المسألة بعد ذلك».

* * *

١٠ ـ أسدل الستار

نظرت «ليزا» من الباب: «يا آنسة «جونز»، أصحاب «بيرسيل غروب» هنا. وقد أوصلتهم إلى غرفة الاجتماعات».

فقالت «كارلا» بهدوء: «شكراً يا «ليزا»، سنكون هناك في الحال».

نظرت إلى المكتب ومن ثم إلى «ماثيو»: «هل لديك الملفات والأوراق التي تحتاجها؟».

ـ في المكتب. استغرق عثور «ليزا» عليها نصف نهار.

بقيت «كارلا» هادئة. كان بإمكانه أن يتصل بها أو يطلب من «ليزا» أن تفعل، لكي تدلهما على مكانها. المتكبر العنيد! إنه يستحق أحياناً الصعوبات التي تواجهه.

ـ إذن، عليّ أن أتظاهر بأنني مساعدتك الخاصة أثناء الاجتماع. هل هذا كل شيء؟

ـ ينبغي أن يكفي هذا.

ـ هذا حسن.

حملت دفتر ملاحظات وقلماً واتجهت إلى قاعة الاجتماع، شاعرة بنظرات «ماثيو» مسمّرة عليها حتى غابت عن ناظريه. عندما دخلت القاعة حيّاها السيد والسيدة «تايلور» بحرارة: «يسرّنا أن نراك مرة أخرى. رباه ما أعظم الفرق!».

هذا ما قالته «إيفلين» وهي تتأمل مظهر «كارلا» المختلف، فاحمر وجه هذه الأخيرة وتملكها الارتباك، وقالت بضعف: «من الأسهل أن يبقى المرء بمظهر واحد».

قال «ريتشارد» وهو يفسح المجال لشاب طويل تقدّم ليصافح «كارلا»: «لم تتعرفي إلى ابننا، آشبوري. سيمسك زمام الأمور قريباً.

رأيت أن عليه أن يشارك في هذا الاجتماع».

ـ تسرني معرفتك يا آنسة «جونز». علمت أنك تواجهين بعض المشاكل بالنسبة إلى وظيفتك.

وقالت «إيفلين»: «أتشوّق لمعرفة سبب تنكّرك بمظهر سيدة مسنّة لتحصلي على وظيفة جيدة؟ أنا أنفق مبالغ ضخمة كل سنة لكي أبدو أصغر سناً مما أنا عليه».

قالت «كارلا» فيما انفتح الباب ودخل ماثيو: «السبب هو قاعدة «خمسة وعشرون ـ خمسون».

فردّت «إيفلين»: «لا أعتقد أنني أعرف هذه القاعدة».

انتقلت «كارلا» لتجلس على كرسي آخر، وهي تتمتم، آملة ألاّ يكون «ماثيو» قد سمع شيئاً: «سأشرح لك الأمر فيما بعد».

بعد تبادل التحيات، وتعرف «ماثيو» إلى «آشبوري تايلر»، جلس الجميع، وابتدأ الاجتماع برزانة.

استفهم «آشبوري تايلور» عن نواح معيّنة من العرض فردّ «ماثيو» على أسئلته بسهولة، ثم ناقش معه مواعيد التسليم وخطط الطوارىء إذا ما ظهرت أيّ مشاكل. لم تتكلم «إيفلين» إنما راحت تتأمل الجميع بدقة.

انتهى الاجتماع قبل الظهر، على وعد توقيع العقد حالما يضع المحامي مسوّدته... جامعاً فيها النقاط المتفق عليها كلها.

تساءلت «كارلا» عن الغرض من وجودها. كانت، مثل «إيفلين»، صامتة معظم الوقت. لكنها لاحظت تحديق «ماثيو» إليها أكثر من مرة. وكذلك تحديق «آشبوري تايلور».

وعندما استعد آل «تايلور» للخروج، تقدم «آشبوري» من «كارلا»: «هل يمكنني أن أدعوك إلى الغداء؟ أود أن نتحدث عن وضع شركتنا. إلا إذا كان في ذلك إساءة إلى مشاعر أحد ما؟».

ـ ما من مشاعر تسيء إليها. ولكن، هممم... قد تتردد إذا عرفت قصة توظيفي هنا الكاملة.

ـ أنا متشوّق لسماعها. لكن أيّ شخص يعاني كل ما ذكرته أمي لكي يصل إلى وظيفة، يتمتع برأيي بالعزم والذكاء وروح المبادرة. وهذه مزايا لها قيمتها في «بيرسيل غروب».

سمع «ماثيو» هذا الكلام فكاد غضبه يظهر جلياً. لكن كارلا تجاهلته وقالت «لآشبوري» بابتسامة مشرقة: «يسرني جداً أن أتناول الغداء معك».

فقال «ماثيو» وهو يمسك ذراعها بقبضة حديدية ويقودها إلى الردهة: «هل يمكن أن أراك لحظة؟».

فسألته «كارلا» ذاهلة: «ما الذي تفعله؟».

ـ ظننت أننا سنعقد جلسة مكاشفة، وإذا بك تعبثين مع زبون؟

انتزعت ذراعها من يده وحملقت فيه وهي تقول بصوت كالفحيح: «أنا لا أعبث. توضيح المسألة لك لن يتطلب سوى خمس دقائق. وإذا سنحت لي فرصة الحصول على وظيفة، فسأستغلها. وهو ليس زبوني، إلا إذا كنت تعرض عليّ العودة إلى وظيفتي هنا».

فهز رأسه: «لا سبيل إلى ذلك، يا حبيبة».

ـ كنت واثقة من ذلك، وهذا يمنحني حرية البحث عن وظيفة أخرى. ولا يمكنك أن تمنعني.

وإذا بصوت «ليزا» يتعالى من خلف «كارلا»: «سيد «غرافيلين». مساعدتك تتصل من «تورنتو»، وتقول إن الأمر هام. أخبرتها أن لديك اجتماعاً، لكنها قالت إن علي أن أخبرك. فهل يمكنك الرد على المكالمة؟».

ـ طبعاً، أخبري «سارا» أنني سأجيب بعد لحظة.

فقالت «كارلا»: «لا تدعني أعطلك».

سألها بنعومة وقد ضاقت عيناه بإحباط: «ورغبتك المحرقة في إعطائي ذلك التفسير؟»

ـ رغبتي انتظرت أسبوعاً، فما أهمية أن تنتظر دقائق أخرى؟

كانت «كارلا» تعلم أنّ الوضع لن يتغيّر. ألم يثبت لها ذلك حتى آخر

لحظة؟ وهل يهم إذا أخبرته لماذا أرادت أن تبدو أكبر سناً؟ الحقيقة لن تشكّل أيّ فرق.

ـ انتظري هنا. سأرى ما تريده «سارا» ثم نخرج لتناول الغداء.

طرفت بعينها بدهشة: «لِمَ سنفعل ذلك؟».

ـ اللعنة عليّ إذا كنت أعلم.

واستدار متجهاً إلى مكتبه.

أخذت «كارلا» تنظر إليه وهو يبتعد، حائرة لهذه الدعوة. ورغم تشوّقها لقبولها، رأت أن من الأفضل أن تكتشف فرصاً جديدة. فقالت بنعومة تحدّث نفسها: «لا أستطيع. بقدر ما أرغب في ذلك، لا أستطيع».

استدارت ثم عادت إلى غرفة الاجتماعات. كان آل «تايلور» يستعدون للخروج، وعندما ألحّت عليها «إيفلين» أن ترافقهم إلى الغداء، قبلت. إنهم أناس لطفاء وقد يعرضون عليها وظيفة جديدة في مكان ما.

ندمت «كارلا» لأنها لم تنتظر «ماثيو». كان الغداء لذيذاً، وعرض عليها «آشبوري»، الذي طلب منها أن تدعوه «آش»، فرصة عمل. ستذهب إلى شركة «بيرسيل غروب» في الصباح لتجري مقابلة رسمية، ولترى مكاتبهم.

شعرت «إيفلين» بالتسلية عندما عرفت السبب الذي جعل كارلا تمثل دور امرأة مسنة، وسألتها إن كان بإمكانها أن تخبر صديقاتها هذه القصة.

فقالت «كارلا» ببطء: «أفضّل ألاّ تفعلي. لن أفعل أي شيء يعرّض للخطر صورة «ماثيو» في دنيا الأعمال».

ـ الوفاء ميزة ثمينة. هل يدرك «ماثيو» أنك ما زلت وفيّة له؟

وخطر لها أن ما تكنّه له هو أكثر من مجرد وفاء... فهي تحبه، لكنه لا يريد أياً من الشعورين.

بعد الغداء قامت بنزهة سريعة على شاطىء البحر مستمتعة بالهواء الطلق. حاولت أن تتجاهل ذكرى نزهتها مع «ماثيو» منذ أسبوع فقط، حين تناولا الحلوى في ذلك المقهى.

تنهدت وحاولت أن تنسى. لكن ذلك لم يكن سهلاً.

عندما عادت إلى شقتها كانت تشعر بالتحسن أكثر من أي وقت آخر في الأسبوع الماضي. غيّرت ملابسها وارتدت جينزاً قديماً وقميصاً، ثم سارت حافية إلى المطبخ، وأخذت تبحث في أنحائه عما تأكله. فهي لا تطبخ غالباً، لكنها تهتم بوجبتها الرئيسية عند الغداء لتحصل على وجبة جيدة واحدة على الأقل يومياً.

عندما دخلت شقتها شعرت بخيبة أمل إذ لم تجد أيّ رسالة على المجيب الآلي. كانت ترجو أن يتصل «ماثيو» بها. لا بد أنه غاضب لأنها لم تخرج لتناول الغداء معه. ومن المفترض أن يشكل هذا سبباً يدفعه للاتصال بها ولو حتى ليصرخ بها.

نظرت إلى الساعة فوجدتها الخامسة تقريباً. فات الأوان على الاتصال به لترتيب موعد لتشرح له حقيقة الأمر. ستتصل به في الصباح قبل أن تخرج لإجراء المقابلة في شركة «بيرسيل غروب».

أجفلت حين سمعت قرعاً على بابها، وتساءلت عن الطارق، وهي تسير لتفتحه. وفجأة، تملّكها الذهول لرؤية «ماثيو». قال وهو يقتحم الشقة: «يجب أن نتفاهم. وهذه المرة لن تهربي مني».

أغلقت «كارلا» الباب واستندت إليه وهي تفكر في الملابس الأخرى التي تملكها والتي كان بإمكانها أن ترتديها. لماذا اختارت هذا الجينز الباهت القديم والقميص القديم الواسع؟ لقد أزالت أحمر الشفاه، كما تعلم أن شعرها مشعث بسبب الريح.

فيما كانت تبتعد عن الباب، كان «ماثيو» قد خلع سترته وألقاها على ظهر الأريكة، ثم جلس على طرفها وكأنه صاحب المكان، فيما جلست هي بحذر على كرسي.

بدا جذاباً للغاية. بدا أضعف مما تعهده، وأكثر تعباً. لكن حدّة المشاعر نفسها ما زالت تتألق في عينيه. أما كتفاه فلا تزالان عريضتين كما لو أن بإمكانهما أن تحتضنا العالم.

نبضات قلبها المتسارعة أنبأتها بأن مناعتها ضده تلاشت منذ وقت

طويل.

ـ أخبرتك أنني سأصحبك لتناول الغداء.

فهزت كتفيها: «قررت أن أقبل الدعوة الأولى».

ـ هل منحوك وظيفة؟

ـ وهل هذا من شأنك؟

طرحت هذا السؤال وهي لا تزال مجروحة من هذا الجواب نفسه الذي ردّ به عليها عندما سألته عن مشكلة «تورنتو».

ـ جعلته من شأني. وفي الواقع...

وتنفس بعمق ثم نهض وسار إلى النافذة، ثم استدار ونظر إليها: «في الواقع، إذا سارت الأمور كما أود، فسأجعل الكثير من الأمور من شأني».

ـ لا أدري ما الذي تتحدث عنه.

ـ أحياناً أظن أنك سحرتني. وأحياناً أخرى أتساءل إن كان ثمة شيء في مياه «فانكوفر». ومهما كان السبب، ورغم كل ما حدث، ما زلت أريدك.

تسارعت دقات قلبها، وحدّقت إليه مضطربة: «تريدني؟».

وملأت ذهنها صور رحلتهما إلى الجزيرة وعناقهما في المرج. ظنت أنها لن تراه مرة أخرى، وها هو يتحدث الآن عن رغبته فيها. أتراها دخلت كوناً آخر؟

ـ أريد أن أراك. أمضي وقتاً معك. أحتضنك. كيف تريدينني أن أعبّر عن مشاعري؟

حدّقت إليه بحيرة بالغة. كان هذا آخر ما توقعت أن تسمعه. ثم قالت فجأة: «أنا في الثامنة والعشرين».

ـ وأنا في الرابعة والثلاثين. هل هذا يجعلني كبيراً جداً بالنسبة إليك؟

هزت رأسها بسرعة: «لا، لكنني ظننتك لا تخرج مع نساء تجاوزن الرابعة والعشرين».

فقطب جبينه: «من أين جئت بهذه الفكرة؟».

- لأنك «السيد «٢٥-٥٠»».

- ما معنى هذا؟ سمعتك تقولين هذا لآل «تايلور» منذ فترة.

نهضت «كارلا» ثم دارت حول الكرسي، لتجعلها بينهما، وأمسكت بها تستند إليها: «قبل أن أعرفك، سبقتك سمعتك. أنت الرجل الذي لا يوظف امرأة دون الخمسين ولا يخرج مع امرأة تجاوزت الرابعة والعشرين».

حدّق إليها طويلاً: «هل هذا سبب كل ما حدث؟ فكرة حمقاء عن أنني لا أوظف امرأة دون الخمسين؟».

فأومأت: «كنت أريد تلك الوظيفة. وما دمت لا توظف شابة فلن أحصل عليها. وهكذا ادعيت أن عمري خمسون سنة ولكن إذا نظرت إلى أوراق طلب الوظيفة، فسترى أنني ذكرت عمري الحقيقي».

- لم أرَ هذه الأوراق قط.

بقيت صامتة. لا ضرورة لتوريط صديقتها «بات».

- كما لا يبدو عليك أنك في الثامنة والعشرين.

- تصورت أنك ظننتني أصغر سناً. . . وإلا لما دعوتني للخروج. تلك الليلة في المسرح ظننت أنك عرفتني.

- تلك الليلة، نظرت إلي مراراً، فظننتك تريدين الإيقاع بي.

كتمت ابتسامتها وقالت: «أنا التي ظننت أنك تريد الإيقاع بي».

- وقد فعلت.

وكان في صوته الرضى.

- أنا جيدة في عملي.

فأومأ مرة واحدة: «افتقدت جوابك «ما من مشكلة» على كل سؤال. حتى «سارا» في «تورنتو» يتملكها الاضطراب مع أنها تعمل معي منذ سنوات».

- أراهن على أنها تجاوزت الخمسين من العمر.

- نعم، في الواقع، لكنها كانت تعمل في الشركة عندما استلمتها. من الذي أخبرك عن تلك القاعدة الغبية؟

احمر وجهها قليلاً: «في الحقيقة، سمعت مجموعة من السكريتيرات يتحدثن عنها أثناء الغداء، ذات يوم».

- هل قمت بهذا المشروع المعقد بسبب أقاويل؟

- لقد نجح.

- هل كنت تنوين التقاعد بعد خمسة عشر عاماً حين أظنك بلغت الخامسة والستين؟

- بل كنت أنوي أن أخبرك عندما تقتنع بأنني ضرورية للعمل ولا يمكن التخلي عني. في الحقيقة، قررت أن أعترف لك بعد أن يوقع آل «تايلور» العقد، ظناً مني أنك ستكون في مزاج طيب بحيث تتقبل ما سأقوله.

- وماذا توقعت أن يكون ردّ فعلي عندما أعلم؟

فهزّت كتفيها: «لا أدري. . ستغضب في البداية، لكنك لن تتمكن من الاستغناء عني، لاقتناعك بأنني الأفضل للوظيفة».

حدّقت إليه، متمنية لو أنهما يعودان إلى الجزيرة أو إلى المكتب، ولو أن «أليس ساور» لم تغيّر عالمها.

قال ببطء وعيناه تلتهبان: «أنا مقتنع. وغير قادر على الاستغناء عنك».

فانتعشت آمالها: «هل سأستعيد وظيفتي؟»

هز رأسه: «سأجد مساعدة أخرى. ثمة واحدة أو اثنتين قابلتهما وهما الآن على لائحة الانتظار».

- إذن أنا لست ضرورية بحيث لا يمكن الاستغناء عني.

وغاص قلبها. إلى أين سيصل بهما هذا الحديث؟

- تعالي إلى هنا، يا «كارلا».

نظرت إليه بارتياب، ثم سارت ببطء، رافعة رأسها لتنظر في عينيه، وعجبت لعنف المشاعر التي تتدفق منهما.

عاد يقول: «أنا أريدك، وأظنك تريدينني، أنت أيضاً. هل أنا مخطىء؟»

بللت شفتيها بلسانها لحظة. وببطء، رفع يده يلامس خدها، وبردّ

شعرها إلى الخلف، شابكاً أصابعه في خصلاته الحريرية.

عندما أنزل يده ليعانقها، كانت مستعدة، متلهّفة. وبآهة ناعمة، ألقت بذراعيها حوله، فشدّها إليه وعانقها بعنف وشوق. هل كان العناق أحلى من قبل لأنها خائفة من ألاّ تراه مجدداً؟ هل يعكس هذا العناق شدّة حبها له، فهي تحبه إلى حد أن قلبها كاد ينفجر؟ أفلتها ونظر إليها قائلاً: «أنا مسرور لأن الأمور استقرت بيننا. هل ستدعينني إلى العشاء؟».

سألته وخفقات قلبها تتسارع: «ما الذي استقر؟».

كل عصب في جسمها كان مشتاقاً لعناقه. غمرها الحب، وتمنت لو يعانقها مرة أخرى.

أجاب: «سنستمر في الخروج معاً».

ابتعدت عنه، وقد شعرت وكأن دلو ماء بارد سُكب عليها: «ماذا تعني بالاستمرار في الخروج معاً؟ وماذا عن وظيفتي؟ لا أظن أن الأمور استقرت بيننا».

ـ ذاك العناق قال الكثير.

سألته وحذرها يزداد: «ماذا قال بالضبط؟».

ـ إنك تريدينني بقدر ما أريدك.

ـ أنا أريد الكثير من الأشياء لكن هذا لا يعني أن حياتي مستقرة ومرسومة أمامي. أريد وظيفة المساعدة الخاصة تلك. كنت بارعة فيها وعليك أن تعترف بذلك.

ـ سنتابع لقاءاتنا بقدر ما تسمح به التزاماتنا الأخرى. لكن من دون الوظيفة. أنا لا أمزج المتعة بالعمل.

ـ إذن، سنتلاقى... متى؟

طرحت هذا السؤال بقشعريرة باردة تمتلكها للمشهد الذي أثاره فيها تعليقه. أين سيكون موقعها في قائمة أولوياته؟ بعد أن ينهي اهتمامه بالأمور الأخرى كلها؟

ـ متى شئنا.

ـ والمدة؟

ـ للمدة التي نريدها.

فقالت بجرأة: «ماذا لو أردت ذلك إلى الأبد؟».

وعلى الفور تغيرت ملامحه وردّ بحدة: «أنا لا أفعل ذلك إلى الأبد».

ـ لِمَ لا؟

ـ لقد أوضحت لك ذلك، فقلت لي إنك لا تسعين إلى علاقة زوجية.

هل هذه كذبة أخرى؟

(عندما يأتي «الرجل المناسب» ستعرفينه) هذا ما قالته «باث». وكانت «كارلا» واثقة من أنها تعرفه، ولكن يبدو أن «الرجل المناسب» لا يعرف. أو لعلها ليست المناسبة بالنسبة إليه. وأثارت هذه الفكرة حزنها.

فقالت ببطء: «الأمور تتغير».

فأجاب: «بعض الأشياء لا تتغيّر».

ـ بالنسبة إلى رجل اعتاد المجازفة في أعماله أو حتى بحياته في البراري، من المؤكد أنك تعاني من خوف دائم في المسائل الشخصية.

ـ لن أستمع إلى تحليلك لحياتي لأنني لن أغيّرها لتناسبك. يمكننا أن نحصل على الكثير من المتعة معاً. لكن ليس إلى الأبد.

قالت مدهوشة لهدوء صوتها: «طريق مسدود».

أرادت أن تتحدث بعنف وحماسة وتطلب منه أن يحبها بقدر ما تحبه. لكنها كانت تعلم أن هذا لن يغيّر الواقع. يبقى أملها الوحيد أن تنتهي الأمور بشيء من الكرامة.

ـ تباً، يا «كارلا». أنا لن أتزوج. أظنني أوضحت ذلك تماماً في البداية.

قالت وهي تسير إلى الأريكة: «تماماً».

التقطت سترته ثم احتضنتها لحظة تشتم رائحته. ستفتقده كثيراً. واستدارت تناوله إياها قائلة: «عليك أن تذهب، يا «ماثيو». أشكرك لأنك سمحت لي أن أشرح لك سبب تظاهري بأنني أكبر سناً. أتمنى لو أن الأمور

www.elromancia.com

سارت بشكل مختلف. فقد أحببت حقاً العمل عندك، ومعك».

ـ لن أخرج.

ـ أريدك أن تخرج. أنا لا أريد متعة عابرة ولا علاقة مؤقتة أنتهي معها محطمة القلب يتآكلني الندم. من الأفضل أن تنتهي العلاقة الآن بحيث يمكننا أن نبقى صديقين من نوع ما.

اجتاز الغرفة غاضباً وأخذ سترته: «لم أعتبرك قط صديقة».

وكاد يزمجر.

ـ لعل هذا جزء من المشكلة. لكنت أحسن صديقة لك إذا أتيحت لنا الفرصة.

ـ ما زال بإمكاننا أن نمضي بعض الوقت معاً.

أتراه يبدو متلهفاً؟ أم أنّ هذه أمانيها هي؟

هزّت رأسها: «أريد أن يكون انفصالنا مهذباً. وداعاً، يا «ماثيو». أتمنى لك أحسن ما تقدمه الحياة».

بقيت مرفوعة الرأس، راجية ألاّ تخونها دموعها إلا بعد أن يخرج. آلمها حلقها. ماذا سيفعل إذا ما انهارت وأخذت تشهق باكية؟ فتحت الباب وحاولت أن تبتسم، لكن شفتيها ارتجفتا ولم تطيعاها. فليكن إذن.

ـ «كارلا».

هزّت رأسها، رافضة النظر في عينيه.

تردّد «ماثيو» عند العتبة، ثم خرج. وبرفق، أغلقت «كارلا» الباب. تدفقت دموعها على خديها، فأسندت رأسها إلى خشب الباب البارد، وقد تملكها شوق هو من العنف بحيث أحست وكأنها ستصرخ ألماً.

لقد تحطّم قلبها، إنها تشعر بذلك. كيف استطاعت أن تحب هذا الرجل؟ كانت تعلم أنه صلب، انطوائي، يكره فكرة العلاقة الدائمة. وظنت أن بإمكانها أن تجاريه في موقفه هذا. لكنها لم تستطع. لقد أحبته وأرادت أن تبقى معه، وتشاركه حياته. لكنها لن ترضى بالفتات. رفضت أن تستقر مع أقل من حبه والتزامه. التزام لمدى الحياة.

القلب لا يختار دوماً بحكمة. لقد اختار، ويعود إليها أن تلتقط الحطام وتمضي.

راحت تغسل عينيها بماء بارد، ثم توجّهت إلى المطبخ لتحضّر الشاي. لم تكن جائعة، لكن ربما يخفف الشاي عنها. إنه دواء علمي، كما تقول أمها، حتى لتحطم القلوب.

جرس الباب أجفلها. منِ القادم في مثل هذا الوقت؟ أتراها إحدى الجارات؟ ربما من الأفضل ألاّ تجيب. كيف ستشرح للجارة سبب احمرار عينيها؟ أصبح الطرق على الباب أكثر عنفاً. تمتمت وهي تتوجه إلى الباب تفتحه: «لا بأس، أنا قادمة».

أجفلت وهي ترى «ماثيو». كانت سترته ملقاة على كتفيه وربطة عنقه محلولة.

ـ «ماثيو»؟ ظننتك رحلت. ماذا تفعل هنا؟

اندفع إلى الداخل، ثم مدّ يده ليغلق الباب.

ـ وصلت حتى المصعد فقط.

ـ هل كنت في الردهة طوال هذا الوقت؟ لقد خرجت منذ أكثر من عشر دقائق.

لم تفهم. ماذا كان يفعل كل هذا الوقت؟ مسح وجنتيها بأنامله، وقال برقة: «لم أشأ أبداً أن أجعلك تبكين».

قالت بسرعة وهي تتراجع إلى الخلف: «أنا بأحسن حال».

أرسلت لمسته بهجة خالصة في كيانها. لم تتصور أنها ستعرف يوماً كل تلك المشاعر.

طوّقت يده عنقها، ثم حدق إلى عينيها فثارت أحاسيسها وسرت الحرارة في جسدها: «حسناً، يسرّني أن أحدنا بأحسن حال، فأنا لست كذلك».

ـ ماذا تعني؟

ـ كنت على حق.

ـ بالنسبة إلى ماذا؟

أتراها تسمع جيداً؟

ـ بالنسبة إلينا، نحن الإثنين. أنا لا أريد علاقة طارئة. أريد أحسن صديقة. لم يكن لي صديقات من قبل. وأريد امرأة وفيّة حتى من دون سبب يدعوها لذلك. امرأة تمنح الرجل فرصة ثانية، وربما ثالثة إذا ما احتاج إلى ذلك. أنا أريدك يا «كارلا».

ـ لا أفهم.

ـ وأظنني أنا أيضاً لا أفهم. لكن الأسبوع الماضي كان جحيماً. كان لدي أزمة في «تورنتو» لكني فكرت بأن أتخلى عن كل شيء، لأنّ لديّ مشكلة أكبر مع مساعدة شخصية كانت تتلاعب بي طوال الوقت. لم أستطع أن أصدق ذلك، كما لم أتمكن من تكهّن السبب. أمضيت معظم أوقاتي أتصور تفسيرك بدلاً من معالجة المشكلة في «تورنتو». فكرت في أنك جاسوسة لحساب شركة أخرى، وخطرت لي فكرة الإنتقام، أو الجنون.

ـ لعلها الحقيقة. أعني أن أتظاهر بأنني أكبر سناً لكي أحصل على وظيفة. . .

ـ وهي وظيفة تقومين بها بكفاءة وحماسة. أنت أحسن موظفة عرفتها.

طرفت بعينيها. إنها لا تسمع جيداً. هل أفقدتها لمسته صوابها فأصبحت تتخيّل الأشياء؟

ـ رغم أنني في الثامنة والعشرين؟

ـ أنا لم أنطق بتلك القاعدة قط.

وبدا عليه التفكير لحظة: «ولكن ما دام الناس مجمعين على أمر كهذا، فيمكنني أن أفهم كيف بدأت هذه الإشاعة. كل سكرتيراتي كبيرات في السن، ومعظمهن كن يعملن في الشركة قبل أن أشتريها».

ـ والنساء اللاتي تخرج معهن؟

ـ صغيرات في السن لا يهتممن بالاستقرار والزواج. ليس لدي قاعدة بالنسبة لهذا. ولكن ربما لدي ميل للخروج مع الصغيرات في السن. يبقى السؤال هل تتزوجينني؟

ـ أتزوجك؟

وشهقت بقوة وأخذت تحدّق إليه: «أتزوجك؟».

ـ قولي نعم.

ـ ماذا حدث لعدم رغبتك في الزواج على الإطلاق؟ لاعتقادك بأن كل النساء يسعين وراء رصيدك في المصرف؟

أخذ قلبها يخفق بعنف حتى لم تعد تسمع ما يقول. وأخذت نفساً ممزقاً وعيناها لا تتحولان عن عينيه. هل يمزح؟ هل من الممكن أن يكون جاداً؟

بدت التسلية في عينيه: «إذا كنت تريدين رصيدي في المصرف، فيمكنك أن تأخذيه، لكنني سأكون معه».

حملقت فيه ساخطة: «لا أريد رصيدك في المصرف».

ـ لكنك تريدينني أنا؟

إنها تتخيّل كل هذا. وللحظة ظنت أنها لمحت ضعفاً في عينيه عندما سألها إن كانت تريده. هذا غير ممكن خاصة بالنسبة لرجلها القوي المغامر الجريء «ماثيو».

وشيئاً فشيئاً، أدركت أن ما يحصل ليس من نسج مخيلتها، بل بدا فعلاً غير واثق من جوابها.

وكأنما لديه شك.

ألقت بذراعيها حول عنقه: «نعم، أنا أريدك. أنا أحبك، يا«ماثيو غرانيلين». لم أكن أنوي الوقوع في الغرام، لكن لا يمكن مقاومة سحرك».

اشتدت ذراعاه حولها، فشعرت براحة غامرة.

ـ لا أظن ذلك. ولكن إذا شئت أن تظني هذا، فتمسكي بهذه الفكرة

قدر إمكانك.

وضمها إليه، فشعرت بضربات قلبه على صدرها. وعامت «كارلا» في بحر من الأحاسيس وقد غمرتها السعادة.

تراقصت الألوان تحت جفنيها المغمضين واتحبست أنفاسها... لكن من يريد أن يتنفس؟ لديها «ماثيو» الآن. أم لعله الذي لديه «كارلا»...

لم يبقَ لدى «كارلا» ما تشكو منه. أسئلة؟ نعم، ولكن ليس لديها أيّ شكوى.

مضى بعض الوقت قبل أن يبتعد قليلاً بما يكفي ليحدّق إلى عينيها. وببطء، فتحت عينيها وحدّقت إليه.

قالت: «أخبرني أنك تحبني، أنت أيضاً. هذه هي العادة، كما تعلم».

ـ أنا أحبك يا «كارلا جانيت جونز». شعرت وكأن جزء مني بُتر هذا الأسبوع.

ـ في المرة التالية، امنح الشخص فرصة للشرح. مع غضبك البالغ حينذاك، لست واثقة من أنك كنت ستصغي إليّ. كان الشعور بالذنب يمتلكني طوال أسابيع، وعندما سنحت لي فرصة لكي أشرح لك كل شيء، منعتني من ذلك.

فقال ببطء: «كنت خائفاً من أن أكون قد وقعت في غرامك وقاومت ذلك في كل خطوة خطوتها. وإذا بي أكتشف أنك كنت تتظاهرين بشيء غير حقيقي، فصعقتني الصدمة. أعماني الغضب. لم أتوقع قط شيئاً كهذا. ولم أستطع أن أفكر في غير الهرب منك، ومن ذلك الوضع. لم أعرف قط من قبل أنني جبان».

ـ أنت لست جباناً. قالت «ليزا» إنك أمضيت الأسبوع الماضي في «تورنتو».

ـ كان هذا عذراً جيداً لأقنع نفسي بأنني أعالج مشاكل العمل ولست هارباً.

ـ آسفة، كنت أنوي أن أخبرك حالما ننهي العقد مع آل «تايلور». صدقني، ما كنت لأقوم بمثل ذلك العمل لولا رغبتي البالغة في الحصول على الوظيفة.

ـ وخروجك معي؟

ـ هذا ما لم أستطع مقاومته، خاصة وقد أدركت في المسرح حينذاك أنك لم تعرفني. تأثيرك أقوى من أن تقاومه أيّ امرأة.

حدقت إليه والحب كله في عينيها: «أخبرني، كيف تطوّر الأمر من رفضك عودتي إلى العمل في شركة «كنسنجر»، إلى عرض الزواج هذا، وذلك في أقل من نصف ساعة؟».

والتصقت به مبتهجة بهذه الحميمية التي غمرتهما معاً.

ـ غضبت عندما طردتني.

ـ لا، ...

ـ لا تقاطعيني. أثناء انتظاري المصعد، خطر لي ما قلته لي عن المجازفة. ثم وصل المصعد وكان خالياً، وللحظة واحدة، رأيت حياتي بهذا الشكل. ما من أحد في البيت ينتظرني آخر النهار. وما من أحد أشركه معي في النجاح. ما من أحد أكون معه على طبيعتي. رأيت تلك الحياة الفارغة على مدى السنين. أنا في الرابعة والثلاثين، فإذا أردت أسرة أترك لها أعمالي، أو حتى مجرد رفيقة أشاركها حياتي، فعليّ أن أتحرك وأسعى لذلك الآن.

ـ إذن، وجدتني البديلة لحياتك الماضية.

منذ نصف ساعة، لم تكن لتصدق أنها ستمزح معه يوماً ما. واعتصرها بين ذراعيه: «قلت لك لا تقاطعيني».

حاولت أن تتظاهر بالندم، لكنها كانت تعلم أن السعادة تفيض من عينيها.

ـ وهكذا أخذت أتساءل عن شعوري إذا لم أركِ مرة أخرى. عندئذ، بدأت أرى الأمور بأبعادها الصحيحة. سبق وأمضيت أسبوعاً من دونك،

ولم أرغب في أسبوع آخر مثله، فكيف بالحياة بطولها؟ وفجأة أدركت أنك المرأة المناسبة لي. لقد أحببت الجزيرة، والوظيفة. . . ويمكننا أن نناقش الآراء والأفكار والخطط، كما أن لديك أفكاراً كثيرة جيدة. جلسات التخطيط الصباحية تلك أصبحت ضوء نهاري الساطع. لكنني، حينذاك، لم أكن أعرف السبب.

- جعلت ذلك يبدو شاعرياً للغاية. جلسات التخطيط الصباحية؟

- سنصل إلى الجزء الشاعري بعد دقيقة. أنا أشرح لك الآن كيف عدت إلى رشدي.

- وعملك هذا رائع يا «ماثيو». أحبك يا عزيزي.

نظر في عينيها، فرأى الدفء والحب يشعان من أعماقها. هذا هو الشيء الوحيد الذي يُحسب حسابه.

- أحبك يا «كارلا».

- رفيقان إلى الأبد؟

- إلى الأبد.

ثم تردّد: «إذاً، ليس عليّ أن أشرح أكثر. هل تتزوجينني؟».

- نعم، سأتزوجك.

وعانقته بشوق وحنان. يمكن للشرح أن ينتظر، أو يمكن تجاهله. المهم هو النتيجة. . . حياة كاملة من السعادة معاً.

قالت بعد قليل: «أنا مساعدة خاصة بارعة».

كان يطوّقها بذراعيه وهما يجلسان على الأريكة متقاربين.

- لا، أبداً، أنا لا أسمح لأعضاء أسرتي بأن يعملوا في شركاتي. هذا ليس جيداً للعمل.

- ثق بي يا «ماثيو». سنجعل العمل ينجح بشكل رائع. ما من مشكلة.

إنه يثق بها. فهي تحمل بين يديها قلبه وسعادته وأمله في المستقبل. إنه يجازف منذ سنوات، لكنه واثق من النجاح هذه المرة. ما من مشكلة!

* * *

www.elromancia.com